مناقشة

الشيخ الأحسائي يرحمه الله

في مفردة الخلق

بقلم :

حسين صالح العايش البراك

١٤٣٧/١١/٢٧هـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

من نعم الله علينا أتباع أهل البيت أن باب الاجتهاد مفتوح، حيث يتاح لمن له أهلية أن يناقش أكابر العلماء والمجتهدين فيما وصلوا إليه من آراء في الحقول العلمية المختلفة في النتائج والمقدمات التي من خلالها يتوصل العالم إلى الرأي الصواب، ولهذا ناقش بعض علمائنا بعضهم الآخر في الفقه والأصول والرجال والآراء العقدية، ولعله من أروع ما اشتهر لدى علمائنا هو لزوم الاجتهاد في العقيدة، بمعنى أن من يتبنى رأياً عقدياً لابد أن يصل إلى مرحلة الاطمئنان به، ولا يسوغ له أن يقلد في ذلك غيره، أي أنّ أصول العقائد وما يرتبط بها من شأن لابد للمكلفين من الاطمئنان بها وبما يرتبط بها، ولا يجوز التقليد فيها، وهذه من أعظم الميزات لمذهب أهل البيت (ع)، غير أن هناك استثنائين:

الأول: في مناقشة رأي بعض الأعاظم، عندما يتعملق ذلك العظيم ويصبح لآرائه شيء من القدسية، فيتصور بعض المحبين من عشاقه أن آراءه تجسد الصواب المطلق والحق الصراح الذي لا يعتريه ريب ولا يشوبه عيب، وهذه قاعدة عامة بمعنى أن كل عظيم سيذهب بعض عشاقه إلى الدفاع عن آرائه بنحو مطلق، إذ أنهم يرون مناقشة آرائه تمسّ شيئاً من عظمة شخصيته.

الثاني: في المجال العقدي إذْ يتصور بعضٌ أنّ ما توصل إليه ملا صدرا يرحمه الله هو الصواب، ولذلك ينبري مدافعاً عن ذلكم الرأي رغم وجود ضعفٍ واضح فيه، وكذا الحال في مناقشة بعض آراء السيد الطباطبائي (صاحب الميزان) يرحمه الله.

أما إذا أصبح بعض العلماء رمزاً واشتهر في أكثر من مجال فإنّ بعض عشاقه يرى أنّ مناقشته تتنافى مع التسليم بمنهج أهل البيت عليهم السلام، وقد رأينا في الحوزات العلمية من يقدس السيد الإمام يرحمه الله على هذا النحو، ويرى أنّ آراءه عين الصواب، وهناك أيضاً من يقدس السيد الخوئي رحمه الله على نفس الشاكلة، إذْ يرى هؤلاء أنّ الهالة الكبيرة والقامة الباسقة لشخصية السيد الخوئي أو شخصية الإمام قدس الله نفسيهما يمنعان من مناقشتهما، والشيخ الأحسائي يرحمه الله لعملقته وقدراته العلمية في الفقه واللغة والأصول وعلم الكلام ومهارته في الكتابة لإيصال آرائه والشهرة التي تمتع بها في زمانه بالإضافة إلى بعض مكاشفاته المنامية ورؤيته لبعض أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا النسق لا ينبغي مناقشته، ولعله يرحمه الله مهّد لعدم مناقشته بذكره أنّ ما توصل إليه من آراء يتطابق مع رأي أهل البيت عليهم السلام،

رغم أنّ ما توصل إليه من رأي لا يعدو أن يكون اجتهاداً قد يصيب وقد يخطئ، لوجود مسلمة لدينا أتباع أهل البيت عليهم السلام بحصر العصمة في المعصومين عليهم السلام فقط، وما عداهم قد يجانب الصواب ولنا في ذلك أمثلة متعددة وكثيرة عبر تأريخ العلماء الذين كانوا من أقرب المقربين لأهل البيت عليهم السلام، فالصدوق يرحمه الله وُلد بدعاء مولانا المهدي عليه السلام، وقد خدم أهل البيت بتدوين رواياتهم والذود عنهم غير أنّ له آراءً في العقائد تتنافى مع مسلمات المذهب، وكذا الحال مع الشيخ المفيد والسيد المرتضى علم الهدى، وبقية العلماء الجهابذة الأفذاذ إلى عصرنا هذا، حتى تكاد لا تجد عالماً إلاّ وله بعض الآراء الخاطئة، وذلك لا يضر ولا يضير بعلمه ولا بقربه من أهل البيت عليهم السلام، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ مناقشة رأي العالم إحياء للعالم، ولولا المناقشة لمات العالم بموت علمه، ولهذا فإنّ حياة الشيخ الأنصاري واشتهاره وانتفاع العلماء بعلمه آتية من خلال مناقشة آرائه الأصولية والفقهية والرجالية، وهي التي أسهمت في تقدم الحوزات العلمية، ولو قدست آراؤه ومنعت مناقشتها لما اشتهر الشيخ قدس الله نفسه.

من هنا ينبغي أن نحيي الشيخ أحمد الأحسائي يرحمه الله بمناقشة آرائه التي اجتهد فيها مستنداً إلى بعض الروايات التي لها ما يضادها وينافيها، وقد توصل غيره إلى غير ما وصل هو إليه مستندًا إلى روايات أخرى يراها أقوى سندًا وأوضح دلالة على المطلوب، ولنأخذ مفردة "خلق الخلق"، هل أنّ الله تعالى خلق الخلق بذاته مباشرة أو بواسطة؟

وبعد ذلك هل أنّ الواسطة هي العقول العشرة أو غيرها[1] كما يذهب إلى ذلك الحكماء؟

وقبل ذلك هل أنّ الله تعالى يستحيل عليه خلق الخلق بذاته؟ وهل أنّ الاستحالة آتية من لدن القابل وليس من الفاعل وهو الله تعالى؟ بمعنى أنه لا محدودية في القدرة وإنما المحدودية في الخلق أي أنه لا استطاعة للخلق أن يتلقى الفيض الإلهي، أو أنّ الاستحالة آتية من عدم السنخية بين المجرد والمادي.

---

١ – يرى بعض العلماء أنّ الله تعالى خلق الملائكة وهم عقول مجردة ومنهم الكروبيون، وقد أبدع الخلق بملائكته ويستند في ذلك إلى أمرين: الأول: قاعدة السنخية، والثاني: ظهور بعض الآيات القرآنية في أنّ الملائكة هم المدبرون لأمر الخلق وهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾(النازعات:٥)، وقال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(الحاقة:١٧)، بالرغم من وجود رواية تقول: إنّ الملائكة المقربين هم من شيعة محمد وآله، رَوَى أحمد بن محمد السياري، عن عبيد بن أبي عبد الله الفارسي وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله (عليه السَّلام)، أنهُ قالَ : " إن الْكَرُوبِيِّينَ قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش ، لو قَسَّمَ نورَ واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم ، . ثم قال . إن موسى (عليه السَّلام) لما أن سأل ربه ما سأل ، أمَرَ واحداً من الْكَرُوبِيِّينَ فتجلى للجبل فجعله دكا.

تتمة: غير أنّ السياري ضعيف عند الرجاليين ومن الغلاة بل ورد كتاب من الجواد عليه السلام يحط من قدره.

وأما عبيد الله بن أبي عبد الله الفارسي فهو مجهول.

الخالقية في القرآن الكريم والروايات

إن من أعظم الأدلة التي استدل بها الحق تعالى في كتابه الكريم على وجوده وعلى لزوم عبادته والخضوع له كونه تعالى خالق الخلق، وإليك بعضاً من آي القرآن الكريم التي تقرر هذه الحقيقة بما لا مزيد عليه.

قال تعالى: { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[٢].

تبين الآية الكريمة أن العبادة له تعالى لكونه الخالق لمفردات عالم الوجود، وهو الوكيل عليها.

قال تعالى: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٣]، انظر رعاك الله إلى قوله (خالق كل شيء) ستجد إسناد الخالقية إلى الله تعالى بنحو واضح.

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[٤] ، ولعل في هذه الآية وضوحاً أعظم، إذ أن التعرض لخلق الإنسان من الناحية المادية (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)، **قال تعالى:** { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}[٥] ، انظر إلى هذا الربط الواضح بين الخالقية والرازقية والتذكير بالنعم الإلهية، وأن من لا يلتفت إلى ذلك فقد ضل سواء السبيل، **وقال تعالى:** {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ}[٦] ، تؤكد الآية على أن الخالقية تعلقت بالجانب البشري، أي الجانب المادي لدرء اللبس ورفع الإبهام عن ذلك، وكي لا يقال إن الجانب المادي لا تتعلق به القدرة الإلهية لعدم القابلية، **وقال تعالى:** {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[٧] ، تجمع الآية المباركة بين الخالقية والقدرة على ذلك، بمعنى أنه لا مجال للإبهام وتصور عدم وصول القدرة الإلهية لتتعلق بالمخلوق، وسنوضح إن شاء الله تعالى ذلك بنحو مفصل، خلاصته أنه لا مانع من تعلق القدرة الإلهية بالمقدورات جميعها، كما ينص القرآن الكريم على ذلك، غير أننا لا ندرك ذلك، وعدم إدراكنا ذلك يرجع إلى كون القدرة هي الذات التي لا يحاط بها علماً.

---

٢ – الأنعام:١٠٢.

٣ – الرعد:١٦.

٤ – الحجر:٢٨.

٥ – فاطر:٣.

٦ – ص:٧١.

٧ – الزمر:٦٢.

قال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}[٨] ، من الواضح أن قوله تعالى (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) بمثابة الرد على من يقول بغير ذلك، وقد يدعى أن الآراء الأخرى تؤمن بأن الله خالق كل شيء، لكن بنحو غير مباشر، ورد هذا الرأي من الوضوح بمكان، خصوصاً على مبنى أن وجود الممكن وجودٌ تعلقي، لا حقيقة له، ولا شيئية لوجوده، إلا بارتباطه بالله، فإذا كان كذلك فهو بجميع شراشره وجزيئات وجوده لا تحقق له ولا عينية إلا بهذا الارتباط الذي يقومه، ولعل في **قوله تعالى:** (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[٩] إفصاح عن ذلك.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[١٠]، من يتأمل الضمير (هو)، ثم ينظر إلى (جميعاً) يدرك أن القرآن الكريم يريد أن يوصل الناس إلى العلم بهذه الحقيقة وهي أن الله تعالى خلق الخلق بنحو لا يدركه الإنسان، نعم قد يدرك بعض الوسائط التي جعل الحق تعالى لها تأثيراً على النحو التعلقي الذي أشرنا إليه فيما تقدم، لكن ذلك لايضر بإسناد جميع الخلق إليه، فالأب واسطة في إيجاد الإبن، والله هو الخالق، وهلم جرا في بقية الأسباب التي يعبر عنها بالعلل المعدة، والتي تستند في نهاية المطاف إلى القدرة المطلقة للحي القيوم.

قال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}[١١]،

لعل في الآية إيماءة إلى أن الهدف والغاية من الذكر إيصال الذاكر إلى أمور:

الأول: أنه الخالق تعالى.

والثاني: أن ذلك بحكمة ولحكمة.

والثالث: السير في السراط المستقيم كي لا يتنكب السائر جادة الصواب فيكون من أهل النار.

ومن الجميع يظهر أنه الخالق المهيمن الحكيم.

---

٨ – غافر:٦٢.

٩ – البقرة:٢٥٥.

١٠ – البقرة:٢٩.

١١ – آل عمران:١٩١.

قال تعالى: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}(١٢) ، من يتمعن في مفردة {فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} يدرك أن إسناد الخالقية لله تعالى أمر بين، وأن التغيير من لدن من لم يسر على السراط السوي ليس بالاستقلال أيضاً، وإنما بالتمكين من قبل الله لصرف القدرة فيما لا يريده الله، ولهذا فإن من يفعل ذلك يصبح ولياً للشيطان ويخسر خسراناً مبيناً.

قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}(١٣)، وهنا قد يقال إن من يسند خالقية السماوات والأرض لغير الله تعالى ليس معنياً **بقوله تعالى:** {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}، لأنه يرى ذلك بالواسطة، وجميع الوسائط ترجع إلى الله تعالى إلا أن ذلك لا يعدو كونه رأياً من الآراء التي قد يقال إنها خلاف ظاهر النص.

قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}(١٤) ، إن من ابداعات القرآن الكريم لإظهار المراد تبيانه بطرق مختلفة، ومن هذه الطرق إدخال التتالي وتعاقب المراحل، إذ قد يتصور بعض أن خالقية الحق في قوله تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ) تتنافى مع التعاقب الزماني أو الدهري على رأي المحقق الداماد، إلا أن القرآن الكريم يبعد ذلك ويسند الأمر بتعاقبه المتعدد إلى الله تعالى.

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}(١٥) الآية ظاهرة في أن جميع الأشياء مخلوقة لله تبارك وتعالى، وأن هذه النتيجة تترتب على النظر في ملكوت السماوات والأرض، بمعنى أن من ينظر في حقيقة ملك السماوات والأرض سيصل إليها دون تكلف.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(١٦) ، هذه الآية المباركة على نسق الآية السابقة، وفيها إلفات نظر بأن من

---

١٢ – النساء:١١٩.

١٣ – الأنعام:١.

١٤ – الأعراف:٥٤.

١٥ – الأعراف:١٨٥.

١٦ – يونس:٥.

جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدر للقمر منازل ليتعرف الناس على الحساب في أمورهم، سيصل إلى أن الله تعالى خلق الأشياء بالحق.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[١٧] ، تلفت الآية المباركة النظر إلى أن خلق السماوات والأرض بالتعاقب والمهل يدلل على البعث، وأن من ينكر ذلك يؤدي نكرانه إلى الكفر بالله تعالى.

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ}[١٨] ، تربط الآية بين الخلق وتسخير الفلك والأنهار، والمعنى أنه تعالى هو المؤثر استقلالاً في الأشياء، وأن العلل المعدة تأثيرها لا يرجع إلى لابديتها، بل لأن حكمة الحق اقتضت ذلك.

قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}[١٩] ، في الآية تبيان تعلق الخلق وإيضاح بعض سلسلة عوامل وجود الإنسان التي ليس لها تأثير في إيجاده بنحو عام، ولهذا وجد الإنسان كآدم (ع(من غير نطفة، وكذلك عيسى (ع(، ولعل ذلك يرجع إلى أن العلل المعدة لا ينبغي أن تهيمن على فكر الإنسان بحيث لا يرى ابداع الوجود إلا من خلالها.

قال تعالى: {مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}[٢٠] ، لعل في الآية بياناً لرد من يسند الخلق لغير الله تعالى استناداً لبعض الآراء أو النظريات لردعه، لأنه لم يطلع على الواقع {مَا أَشْهَدْتُهُمْ}، ولهذا لا ينبغي إلا القول بإسناد الخلق إليه دون فهم لكيفية ارتباط الحادث بالقديم، أو المادي بالمجرد.

قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[٢١]، في هذه الآية إبانة بأن بدء الخلق منه وأن إعادته عليه، وأنه الفاعل مستقلاً لا يشاركه غيره، وتقريب ذلك بطي السماء كطي السجل للكتب.

---

١٧ – هود:٧.

١٨ – إبراهيم:٣٢.

١٩ – النحل:٤.

٢٠ – الكهف:٥١.

٢١ – الأنبياء:١٠٤.

قال تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٢٢] ، ما أصرح هذه الآية! إذ تتناول المفردات من الوجود المادي فتقول {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} وتبين أن الخلق من ماء، ثم تردف بأنه تعالى يخلق ما يشاء لعموم قدرته.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا }[٢٣] ، الآية المباركة غاية في وضوحها لأنه الخالق لكونه القادر، ولهذا خلق وجعل المخلوق نسباً وصهراً.

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٢٤] ، لم يكتف القرآن بأن يبين أن خلق الإنسان منه تعالى، بل أوضح مفصلاً أن الإنسان بقسميه من الذكر والأنثى يرجعان في الخلق إليه، كي لا يتوهم متوهم أنه خلق الأنثى فقط أو الذكر فحسب.

قال تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[٢٥]، في الآية إيضاح بأن غيره المعبر عنه {مِنْ دُونِهِ} لن يخلق مستقلاً، وأن من زعم ذلك فهو في ضلال مبين.

قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}[٢٦]، في الآية أمران، الأول: أن خلقه تعالى على أحسن وجه، وفيه مراعاة لمقتضيات الحكمة. والثاني: أنه هو الذي بدأ خلق الإنسان من طين أي أنّ الوجود المادي يستند إليه.

قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}[٢٧]، لعل الآية تشير إلى أن كل ممكن وهو زوج تركيبي مخلوق له سبحانه، وأن عملية الخلق يدخل فيها عناصر غيبية، لا يمكن لعقولنا إدراكها.

قال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}[٢٨].

---

٢٢ – النور:٤٥.

٢٣ – الفرقان:٥٤.

٢٤ – الروم:٢١.

٢٥ – لقمان:١١.

٢٦ – السجدة:٧.

٢٧ – يس:٣٦.

٢٨ – النجم:٤٥.

تفصح الآية الكريمة عن الزوجية وأنها آية إبداعية تدلل على عظمة الخالق وأنه من خلالها يصل الإنسان إلى إسناد الخالقية إلى الله تعالى لاستحالة ذلك على غيره لما فيها من إبداع في الصنع.

قال تعالى: { الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ}[٢٩].

لعل القرن بين التعليم والخلق جاء للتدليل على أنّ الخلق لا يكون إلاّ لله تعالى لاستحالة ذلك على غيره، وأنّ العلم المودع في فطرة الإنسان سيهديه إلى الاعتقاد بإسناد الخالقية إلى الله تعالى.

قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}[٣٠].

من إبداعه تعالى أنه أفصح بأنّ أعقد مخلوق من طين صلصال أي يبدو كأنه محروق وهو كالفخار، وذلك للتدليل بأنّ وجوده المادي لم يأتِ من عدم بل من هذا الطين المحروق أو الذي يبدو محروقاً، وهنا أمران:

الأول: أن يُؤْمَن بالحركة الجوهرية فيكون وصوله إلى تكامله الروحي من خلال حركته وسعيه.

الثاني: أن تكون الروح لها وجود مستقل يقترن بالمادة، ولعل **قوله تعالى:** {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[٣١] ، وكلا الأمرين يؤكدان إسناد الخلق إلى الحق.

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[٣٢].

الآية الكريمة من غرر آي القرآن الكريم إذْ تبين أنّ الحياة والموت أمران مخلوقان لله تعالى وأنّ السبب من خلقهما يرجع إلى ابتلاء الإنسان ليصل إلى كماله بحسن عمله، وعليه فإنّ الخالق الحكيم أبدع الخلق ليصل الإنسان من خلال تأمله في هذا الإبداع الجميل إلى أن يصدر العمل الحسن الجميل، وفي مضامين الآية يرى الإنسان خالقية الحق تعالى للخلق.

قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٣٣].

يستدل الباري تعالى على علمه بخلقه بأمرين:

---

٢٩ – سورة الرحمن:١-٣.

٣٠ – الرحمن:١٤.

٣١ – المؤمنون:١٤.

٣٢ – الملك:٢.

٣٣ – الملك:١٤.

الأول: أنه هو المبدع للخلق، ومن البيّن إحاطة المبدِع بالمبدَع.

الثاني: أنه هو اللطيف الخبير، ولطفه يفصح عن عدم حجب شيء عنه، واطلاعه التام على الأشياء بنحو لا يوصف إلاّ بهذا النحو وهو كونه الخبير بذلك.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}(٣٤).

الآية جاءت على نسق آي القرآن الكريم الدالة على أنه الخالق إجمالاً وتفصيلاً كي لا يتوهم بعض بأنه أبدع خلقاً ثم جعل ذلك الخلق هو المبدِع لغيره بل أنّ جميع الخلق يرجع إليه إبداعًا.

الروايات:

١ ـ (يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وامي خير مني، وأخي خير مني)(٣٥).

يتحدث هذا النص المشهور للإمام الحسين عليه السلام بنحو بيّن واضح بأنّ الله تعالى هو الذي خلق الأرض بقدرته، وهو الذي يبعث الخلق ليعودوا إليه، ولم يقل عليه السلام: "نحن خلقنا ورزقنا" ليكون استدلاله أعظم وأقوى دلالة على أنّ ما يقوم به الأعداء هو ما هيأه الإمام عليه السلام بنحو غير مباشر بل أسند الأمر كله لله تعالى، {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}(٣٦).

٢ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال لي: يا سليمان إن الله تبارك وتعالى خلق المؤمن من نوره، و صبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وامه، أبوه النور وامه الرحمة، فاتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله الذي خلق منه)(٣٧).

---

٣٤ – نوح:١٥.

٣٥ – موسوعة كلمات الحسين عليه السلام للجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص٤٩٠.

٣٦ – الأعراف:٥٤.

٣٧ – مسند الإمام الرضا (ع) ج١ ص٤٦٨.

قوله عليه السلام: (خلق المؤمن من نوره) إيضاح بأنّ وجود المؤمن بالرغم من كونه كوجود سائر الموجودات غير أنه محاط باللطف بدواً، ولهذا ينظر بنور الله تعالى ، وقد يتصور بعض بأنّ قوله عليه السلام : (من نوره) أنّ هناك نورًا، وهذا النور هو مادة خلق المؤمن ويقرب ذلك استدلالاً غير أنّ الأمر هو احتمال لا يرقى إلى درجة القطع بذلك بل هو على حد الاحتمال الأول، ولهذا جاء **قوله تعالى:** {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(٣٨) ، أي المنوّر أو المظهر للسماوات والأرض، ويكون المعنى على حد **قوله تعالى:** {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }(٣٩).

٣ ـ دعاء النور المعروف: (بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الّذي خلق النور من النور، الحمد لله الّذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رقّ منشور، بقدر مقدور، على نبيّ محبور..)(٤٠).

في الدعاء وضوح بأنّ خلق النور من النور أي أنّ كل ضياء وإشراق فهو منه تعالى أو أنّ كل وجود فهو منه تعالى، وعلى كلا المعنيين فإنّ الدعاء يوضح أنّ مبدأ الخلق هو الحق تعالى وتقدس.

٤ ـ قال علي عليه السلام: (الحمد لله الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء كون ما قد كان " مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته ، وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيته ، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية ، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيته . مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ، وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصرف الذوات ، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات ، محرم على بوارع ناقبات الفطن تحديده ، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه ، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره ، ولا تحويه الأماكن لعظمته ، ولا تذرعه المقادير لجلاله ، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه . ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه ، وعن الافهام أن تستغرقه ، وعن الأذهان أن تمثله ، قد يئست عن استنباط الإحاطة به طوامح العقول ، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم ، ورجعت بالصغر من السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم . واحد لا من عدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، ليس بجنس فتعادله الأجناس ولا بشبح فتضارعه الأشباح ، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات ، قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه ، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته ، وحصرت الافهام عن استشعار وصف قدرته ،

٣٨ – النور:٣٥.

٣٩ – الشورى:١١.

٤٠ – مستدرك سفينة البحار ج١٦٧.

وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته . مقتدر بالآلاء ، ممتنع بالكبرياء ، ومتملك على الأشياء ، فلا دهر يخلقه ، ولا وصف يحيط به ، قد خضعت له رقاب الصعاب في محل تخوم قرارها ، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها ، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته ، وبعجزها على قدرته ، وبفطورها على قدمته ، وبزوالها على بقائه ، فلا لها محيص عن إدراكه إياها ، ولا خروج عن إحاطته بها ، ولا احتجاب عن إحصائه لها ، ولا امتناع من قدرته عليها ، كفى باتقان الصنع له آية ، وبتركيب الطبع عليه دلالة ، وبحدوث الفِطر عليه قِدْمَة ، وبإحكام الصنعة عليه عبرة ، فلا إليه حد منسوب ، ولا له مثل مضروب ، ولا شيء عنه بمحجوب ، تعالى عن ضرب الأمثال له ، والصفات المخلوقة علوا كبيرا . وسبحان الله الذي خلق الدنيا للفناء والبيود ، والآخرة للبقاء والخلود)[٤١].

كل فقرات النص شاهدة على أنّ الإمام عليه السلام يدلل على أمرين هامين:

الأول: أنه تعالى هو المبدع: (وبحدوث الفِطر عليه قِدْمَة)، وأنّ هذا الإبداع عليه شواهد الخلق إذْ أنّ الحدوث يدلل على القدم.

الثاني: أنّ النظم البديع لوجود الأشياء منه تعالى (كفى باتقان الصنع له آية ، وبتركيب الطبع عليه دلالة)، وأنّ كلا الأمرين لا يحيط بهما عقل الإنسان ولا يدركهما وليس عليه إلاّ الإذعان والتسليم لأنّ ذلك هو مقتضى الإيمان (مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته ، وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه ، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيته ، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية ، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيته . مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ، وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصرف الذوات ، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات ، محرم على بوارع ناقبات الفطن تحديده ، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه ، وعلى غوائص سابحات النظر تصويره ، ولا تحويه الأماكن لعظمته ، ولا تذرعه المقادير لجلاله ، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه . ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه ، وعن الافهام أن تستغرقه ، وعن الأذهان أن تمثله ، قد يئست عن استنباط الإحاطة به طوامح العقول ، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم ، ورجعت بالصغر من السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم)، أي أنّ جميع ما تقدم أدلة واضحة وبراهين محكمة على عدم إدراك الإنسان كيفية تعلق الحادث بالقديم وعدم إدراكه كيفية إبداع الخلق إذْ أنه من عالم أمره، **قال تعالى:** { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[٤٢].

٤١ – بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨٧ – ص ١٣٨ – ١٣٩.

٤٢ – يس:٨٢.

٥ . عن أبي عبد الله عليه السلام قالا: قلنا: جعلنا فداك أيكره أن يكتب الرجل في خاتمه غير اسمه واسم أبيه. فقال: في خاتمي مكتوب الله خالق كل شيء)[٤٣].

من المعلوم أنّ كتابة المعصوم عليه السلام على خاتمه "الله خالق كل شيء" لتأكيد هذه الحقيقة كي لا يتوهم أحد أنّ مسألة الخالقية تسند إلى غير الله تعالى، ولهذا نجد كثيراً من الروايات التي ترسخ هذه الحقيقة مع وضوح وجود تأثير لبعض الأشياء على بعضها الآخر، فالشمس تؤثر على النبات والقمر يؤثر في حركتي المد والجزر، والمزارع يسند إليه الزرع غير أنّ الزارع حقيقة هو الله تعالى، **قال تعالى:** {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[٤٤] أي أنّ جميع ما تقدم كما أوضحنا على نحو العلل المعدة التي لا تأثير لها استقلالاً وإنما بإمداد من الله تعالى بمعنى أنه لو انقطع المدد عنها لتلاشى تأثيرها ولهذا لم تؤثر النار على الخليل عليه السلام، **قال تعالى:** {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[٤٥].

٦ . قال أبو هاشم (الجعفري): خطر ببالي أنّ القرآن مخلوق أم غير مخلوق، فقال أبو محمّد (عليه السلام): يا أبا هاشم الله خالق كلّ شيء وما سواه مخلوق)[٤٦].

من يتأمل في قول الإمام عليه السلام (الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق) يرى بعين البصيرة أنّ الإمام عليه السلام بصدد إثبات أمرين:

الأول: أنّ القرآن الكريم محدث كما نص على ذلك الذكر، **قال تعالى:** {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}[٤٧] ، ولا ينبغي أن نجعل النسبة التشريفية للقرآن الكريم تصيره قديماً كالذات المقدسة بل هو على حد نسبة البيت إلى الله تعالى عندما نقول الكعبة بيت الله تعالى، فكلامه تعالى أحدثه ونسبه إلى نفسه.

الثاني: أنّ ما سوى الحق تعالى مخلوق حادث يرتبط وجوده بوجود الحق وليس له استقلال بأي وجه من الوجوه، نعم؛ قد يكون لبعض الموجودات رتبة وجودية أو تأثير بنحو العلل المعدة غير أنّ ذلك لا يجعل تلكم الموجودات مؤثرة بالاستقلال لأنّ التأثير الاستقلالي لا يكون إلاّ بالوجود الواجبي وهو الحق تعالى الواحد القهار.

---

٤٣ – كلمات الإمام الحسين:ج٢ ص ١٤١.

٤٤ – الواقعة:٦٤.

٤٥ – الأنبياء:٦٩.

٤٦ – مستدرك سفينة البحار.

٤٧ – الأنبياء:٢.

٧ ـ عن ابي عبد الله ع قال: اسم الله غير الله، وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، فاما ما عبرته الالسن وعملته الايدي فهو مخلوق، إلى ان قال: الله، خالق الاشياء لا من شيء كان، والله يسمى باسمائه وهو غير اسمائه والاسماء غيره)[٤٨].

نعمت الرواية لأنها تفصح عن عمق التوحيد لله تعالى، وأنه لا شريك له في خالقيته للأشياء وأنه خلقها لا من شيء كان قبلها ليكون شريكاً لله سبحانه، ثم يبين الإمام عليه السلام أنّ أسماءه التي سمى بها نفسه هي غيره ولا ينبغي أن تكون هي هو لئلا تلزم الاثنينية إذْ أنها علامات دالة عليه سبحانه وتعالى، ولهذا ندعوه بها، **قال تعالى:** {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٤٩].

٨ ـ عن ابى عبد الله ع في حديث قال: لو كان يصل إلى الله، الاسف والضجر لجاز لقائل ان يقول: ان الخالق يبيد يوما لانه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير وإذا دخله التغيير، لم يؤمن عليه الابادة إلى ان قال: تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه)[٥٠].

الشاهد في قوله عليه السلام: (بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه) إذْ أنه أورد العلة بأنّ خالقيته للأشياء لا لحاجة لا تعرف لاستحالة الحد والكيف للذات المقدسة بمعنى أنك تسند الخلق إليه وتؤمن بذلك دون أن تعرف الحد والكيف لتلك النسبة، وما أروعه من تعبير يصل إليه من أدرك لحن كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٩ ـ مروان بن مسلم قال: دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام: فقال: أليس تزعم أن الله خالق كل شيء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى)[٥١].

---

٤٨ – الفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص١٩٧.

٤٩ – الإسراء:٢١٠.

٥٠ – الفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص٢١٠.

٥١ – بحار الأنوار للمجلسي ج٣ ص٥٠.

أمر هذه الرواية من الوضوح بمكان أي أنّ الإمام عليه السلام يبين لجميع الناس خصوصاً للملاحدة كابن أبي العوجاء أنّ أمر الخالقية لله تعالى مفردة من مفردات الإيمان التي لا يشوبها ريب.

١٠ ـ قال: مالك لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد تزعم أنك رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين)[٥٢] يشير (ص) إلى **قوله تعالى:** { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[٥٣].

والرواية بصدد الاستدلال على أنّ رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله توأم مع خالقية الله تعالى للخلق أجمعين أي أنّه (ص) يخبر بذلك، ويخاطب الخلق أجمعين بأنّ الله تعالى هو الخالق لهم دون ما سواه، وأنه جاء بالرسالة من عنده سبحانه.

---

٥٢ – بحار الأنوار للمجلسي ج٩ ص١٧٤.

٥٣ – الفتح:٢٩.

من هنا ننبه على أنّ مسألة الخالقية للحق تعالى ترتبط ارتباطاً جذرياً بالغلو، ولهذا ينبغي إيصالها إلى عامة الناس بنحو يتفق مع المقارنة الدقيقة بين الآيات والروايات، ومن ثم الوصول إلى الرأي الذي ينسجم مع النصوص الشرعية دون الاعتماد على بعض النصوص التي يمكن أن يكون لها أكثر من تفسير مع مخالفتها للظواهر المتواترة، وإليك بعض روايات الغلو لتربط بين مسألة الخالقية والغلو.

الغلو

من يرجع إلى الروايات يجد أنّها تشيد بفضل النبي (ص) وأهل البيت عليهم السلام، وأنّ الله تعالى خلق الخلق لأجلهم لكرامتهم على الله تعالى وأنّه تعالى يعرف بهم (بنا عرف الله) أي أنّه لا معرفة حقة من دون الاتصال بهم، وفي الزيارة الجامعة (من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه إليكم) وخلاصة الروايات أنه لا يقاس بهم غيرهم، ولا يدانيهم في الفضل سواهم، وأنهم همزة الوصل بين الحق وخلقه، وبيمنهم رزق الورى وذلك أمر معلوم إذْ أنّ الخلق إذا كان لا يصل إلى الحق إلاّ بهم فكيف يُخلق دونهم، إنّ ذلك خلاف الحكمة، وعليه فإنّ آي القرآن الكريم والروايات محورها ما تقدم إلاّ أنّ بعض من اطلع على هذه الروايات تصور أنها بصدد إيضاح أمر أكثر من ذلك لوجود إيماءة لبعض الروايات على ذلك لكن الأئمة عليهم السلام منعوا أتباعهم عن القول بأزيد مما تقدم، وأبانوا أنّ الزيادة قد تكون من الغلو المبعد عن نهج الصواب وهو نهجهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا نبهوا شيعتهم على أنّ أعدائهم يستغلون ذلك في إبعاد الناس عنهم عليهم السلام، قال الرضا عليه السلام: يا ابن ابي محمود ! ان مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا ، فإذا سمع الناس الغلو فينا ، كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا ، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا ، وقد قال الله عز وجل : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)[٥٤].

والرواية لا تحتاج إلى تعليق أو إيضاح إذْ تفصح عن أمور أهمها الغلو بزيادة الحد، وأنه يوجب القول بأنهم أرباب من دون الله تعالى ولا يخفى على الفطن أنّ الخالقية من أوضح شؤون الربوبية وأنّ نسبة ذلك إليهم من مصاديق الرواية.

– قال الإمام الصادق عليه السلام: (لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، وإليه مآبنا ومعادنا ، وبيده نواصينا)[٥٥].

---

٥٤ – بشارة المصطفى ج٢٧ص٠٦

٥٥ – بحار الأنوار للمجلسي ج٢٥ ص٢٩٧.

لعل جميع الروايات المعتبرة على هذا النسق وهو النسق الموافق للقرآن الكريم، وما يوجب الوهم بغير ذلك ينبغي لأتباع أهل البيت عليهم السلام الابتعاد عنه إذْ قد يكون من مصاديق اللعن أو الإخراج لهم عن العبودية لله تعالى الخالق لهم والذي إليه يرجعون ونواصيهم بيده.

ولم يزل الأئمة عليهم السلام يؤكدون لشيعتهم ولعامة الناس أنهم عباد لله تعالى مخلوقون مربوبون له ويظهرون التأكيد في نفي الخالقية والرازقية والحول والقوة عنهم وإرجاع ذلك كله إلى الله تعالى وتبيان أنّ من قال خلاف ذلك فهم منه برآء، من ذلك دعاء الرضا عليه السلام: (اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة ، فلا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق . اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا . اللهم لك الخلق ومنك الأمر ، وإياك نعبد وإياك نستعين . اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين . اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ، ولا تصلح الإلهية إلا لك ، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك ، والعن المضاهين لقولهم من بريتك . اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء ، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى – عليه السلام – من النصارى . اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يزعمون).

وهو من غرر الأدعية، ومن البين الواضح أنّ الدعاء لا ينفي قدرتهم على الخلق والرزق والإشفاء على نحو الإعجاز والكرامة بإذن الله تعالى كما كان ذلك لعيسى عليه السلام وهم أفضل من عيسى بمراتب حيث لا يقاس بهم أحد.

وفي رد الرضا عليه السلام على المأمون فيمن تجاوز الحد وغلى غنىً وكفاية إذْ أنه عليه السلام أكّد فيه على مطالب متعددة: من أهمها: عدم ادعاء الربوبية لهم عليهم السلام ففي عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام) : قال المأمون لمولانا الرضا صلوات الله عليه : بلغني أن قومك يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد . فقال الرضا (عليه السلام) : (حدثني أبي ، عن آبائه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا . قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ – إلى أن قال : – وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } – إلى أن قال : وإنا لنبرأ إلى الله عز وجل : ممن يغلو فينا، فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، قال الله عز وجل: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} – الآية – إلى أن قال : فمن ادعى للأنبياء ربوبية ، وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة ، فنحن برآء منه في الدنيا والآخرة، وإليك إيضاح معنى الربوبية:

معنى الربوبية

قيل إنّ معنى الربوبية هو الاعتقاد بأن الله رب كل موجود لأنه خالق كل موجود ومدبر أمر الوجود، ولهذا كان معنى ادعاء الرُّبُوبِيَّةَ: الاتِّصَافُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ، وقد قسّم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوحيد إلى قسمين:

١. التوحيد في الربوبية.

٢. التوحيد في الألوهية.

قائلين بأنّ التوحيد في الربوبيّة بمعنى الاعتقاد بخالق واحد لهذا الكون كان موضع اتّفاق جميع مشركي عهد الرسالة.

أمّا التوحيد في الألوهية فهو التوحيد في العبادة الذي يُعنى منه أن لا يعبد سوى الله، و قد انصب جهد الرسول الكريم على هذا الأمر.

والحقّ أنّ اتّفاق جميع مشركي عهد الرسالة في مسألة التوحيد الخالقي ليس موضع شك، ولكن تسمية التوحيد الخالقي بالتوحيد الربوبي خطأ و اشتباه من قبل أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذلك أنّ معنى «الربوبية» ليس هو الخالقية كما توهم هذا الفريق، بل هو ما يفيد التدبير وإدارة العالم، وتصريف شؤونه ولم يكن هذا موضع اتّفاق بين جميع المشركين والوثنيين في عهد الرسالة.

ولايمكن ـ أبداً ـ تفسير الربّ في الآيات القرآنية بالخالق الموجد لأنه خلاف ما جاء في الذكر الحكيم، وإليك بعض الآيات المنافية لذلك:

قال تعالى: {قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ}(٥٦).

ولو حملنا معنى الربّ في الآية على الخالق الموجد، لكانت جملة "الّذي فطرهن" زائدة بدليل أنّنا لو وضعنا لفظة الخالق مكان الربّ في الآية للمسنا عدم الاحتياج إلى الجملة المذكورة (أعني:" الَّذِي فَطَرَهُنَّ").

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}(٥٧).

وأمر هذه الآية كالسابقة إذْ أنها فرقت بين الرب والخالق ورتبت العبادة على الأمرين أي اعبدوه لكونه المربي والخالق.

---

٥٦ – الأنبياء:٥٦.

٥٧ – البقرة:٢.

قال تعالى: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}(٥٨) .

يستشهد الخالق تعالى خلقه على ربوبيته ويدلل على أنّ الإذعان بها يترتب عليه الاعتقاد بالحق تبارك وتعالى.

قال تعالى: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}(٥٩).

في هذه الآية إبطال لما ادعي بأنّ الجميع كان يعتقد بالربوبية وإثبات أنّ موسى عليه السلام كان يريد أن يقرر لبني إسرائيل وللفراعنة ولأتباعهم بأنّ الله تعالى هو الرب ومعنى ذلك أنّ توحيد الربوبية ليس بموضع اتفاق من الجميع.

قال تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

وردت هذه الآية في سورة الرحمن ٣١ مرة وجاءت لفظة «ربّ» جنباً إلى جنب مع لفظة «آلاء» التي تعني النعَم، وغير خفي أنّ التذكير بإسباغ النعم مرّة بعد أُخرى يناسب مقام التربية والتدبير، وإرداف ذكرها بذكر الرب شاهد على أنّ اللفظ بمعنى المدبّر والمدير والمربّي والمصلح. وليس بمعنى الخالق والموجد.

قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}(٦٠).

تقرر الآيات المباركة أنه تعالى المستحق للعبادة والدعاء (الاستغفار) لأنه الرب والمعطي للنعم من الأموال والبنين والجنات، ومعناها إلفات نظر الإنسان إلى ضرورة التوجه إلى المنعم.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(٦١).

تفصح الآية المباركة عن أنّ تدبير الكون بشراشره بيد الرب تعالى وأنّ أفعال الإنسان هي علل معدة، ولهذا فإنّ الله تعالى هو الذي يحيي ويميت وهو الذي يأت بالشمس من المشرق ولا يستطيع أحد من خلقه أن يغير نظم الكون فيجعل الشمس تأتي من المغرب ولو كان أمر الكون بيد غير الله تعالى لتبدلت بعض قوانينه ولكن الأمر كله لله تعالى.

---

٥٨ – الأعراف:١٧٢.

٥٩ – غافر:٢٨.

٦٠ – نوح:١٠-١٢.

٦١ – البقرة:٢٥٨.

أما الآيات المباركة الدالة على الخالقية فإنها بصدد تقرير وإثبات وجود الحق تعالى وأنه هو مصدر الكائنات ولا تشير إلى مسألة العبادة إلاّ من خلال اللازم، **قال تعالى:** {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}(٦٢).

وقال تعالى: {اللهُ خالِقُ كُلّ شَيءٍ وَهُوَ عَلى كلِّ شيّءٍ وَكيل}(٦٣).

وقال تعالى: {ذلِكُمُ اللهُ ربّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إلهَ إلاّ هُوَ}(٦٤).

والآيات في منتهى الوضوح والدلالة بأنها جائية لإثبات وجود الحق تعالى وتوحيده، وليست بصدد إثبات التوحيد في العبادة.

نعم؛ يمكن أن يترتب عليها ذلك كلازم.

ولعله لما تقدم أفصح أهل البيت عليهم السلام على أنهم خُلقوا وأنهم عباد لله تعالى وأنّ الثناء عليهم والمدح لهم لابد أن يكون بعد الاعتقاد بعبوديتهم وكونهم مخلوقين، روي في بصائر الدرجات: (اجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم).

وفي مختصر البصائر: (اجعلوا لنا رباً نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم).

وفي الرواية المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام في معاني الأخبار: (ياسلمان نزّلونا عن الربوبية وادفعوا عنا حظوظ البشرية فإنّا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزهون، ثم قولوا فينا ماشئتم فإن البحر لا يُنزف وسرُّ الغيب لا يُعرف..)

تبين الرواية أولاً: أنهم عباد مربوبون، وثانيًا: اختلافهم عن بقية البشر بالتطهير من عند الله تعالى، ولهذا لا تجري عليهم حظوظ البشرية من الحسد والخلود إلى عالم المادة لأنّ قلوبهم مرتبطة بالله تعالى، ولهذا فإنهم لا يعرفون وذلك لكمالاتهم التي لا حدود لها في عالم الإمكان.

وفي رواية مالك الجهني: (إعلما أن لنا ربا يكلؤنا بالليل والنهار نعبده، يا مالك ويا خالد ، قولوا فينا ما شئتم واجعلونا مخلوقين).

والرواية من غرر الروايات التي أفصح فيها الإمام عليه السلام أنهم يعبدون الله تعالى الذي يكلؤهم بالليل والنهار وأنّ من أراد أن يمدحهم ويثني عليهم لابد أن يؤكد على كونهم مخلوقين لله تعالى، ومن ثم يقول فيهم ما شاء من الاطراء والمدح.

---

٦٢ – الرعد:١٦.

٦٣ – الزمر:٦٢.

٦٤ – المؤمن:٦٢.

وقد جاءت فتاوى الفقهاء على هذا المنوال مبينة أنه لا يجوز نسبة الخالقية والرازقية على نحو الإطلاق إلى النبي والأئمة عليهم السلام، قال السيد الحكيم في المستمسك في تعليقه على كلام السيد اليزدي بعد أن نقل اجماع فقهاء الامامية على نجاسة الغلاة: "وكذا الحال لو اريد بالغلو تجاوز الحد في صفات الانبياء والائمة مثل اعتقاد أنهم خالقون او رازقون او لا يغفلون او لا يشغلهم شأن عن شأن او نحو ذلك من الصفات"[٦٥].

ومعنى كلامه قدس سره أنهم عليهم السلام لا يوصفون بالخالقية والرازقية أو ببعض صفات الرب لأنّ ذلك يندرج في الغلو كما جاء في الروايات، وهذا لا ينافي أنّ المعصوم عليه السلام له ولاية تكوينية يستطيع بها أن يحيي بعض الموتى أو يميت بعض الأحياء كعيسى عليه السلام بإذن الله تعالى، وذلك لإبانة فضلهم والتدليل على كونهم حجج الله تعالى.

رأي الشيخ الأحسائي في كونهم العلل الأربع:

لا يخفى أنّ لبعض العلماء اصطلاحات خاصة يبنون عليها مطالب متعددة، ويصلون من خلالها إلى نتائج هامة قد تتفق مع الواقع وقد تخالفه، ومن هنا لابد من معرفة تلكم المصطلحات قبل مناقشة صاحب الرأي، عمدة ما ذهب إليه الشيخ الأحسائي يرحمه الله من أنّ أهل البيت عليهم السلام هم العلل الأربع أمور:

الأول: هو أنّ الذات المقدسة للباري تعالى منزهة عن مباشرة الخلق.

الثاني: وجود بعض الروايات التي فسرها على ضوء اصطلاحاته، ومن هذه الروايات: (علة ما صنع صنعه وهو لا علة له)، ومنها: (فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا)[٦٦].

الثالث: استحالة إطلاق العلة على الله تعالى لأنها إما تامة فيستحيل تخلف المعلول عنها وبناءً على ذلك يصبح الخلق قديماً كالذات المقدسة أو ناقصة فيكون الباري تعالى محتاجاً إلى غيره لإيجاد الخلق.

من هنا لابد من القول بأنّ العلة هي غيره وليست الذات المنزهة.

---

٦٥ – المستمسك ج١ص٠٣٨٦

٦٦ – نهج البلاغة ج٣ ص٠٣٢

الرابع: أنّ أسماء الله تعالى توقيفية فلا يجوز إطلاق العلة على الذات المقدسة، وقد ورد في بعض الروايات عن مولانا الرضا عليه السلام: (لا تسمه بما لم يسمِ به نفسه).

نعم؛ ورد في بعض الأدعية إطلاق السبب على الله تعالى: (اللهم يا سبب من لا سبب له يا سبب كل ذي سبب يا مسبب الأسباب من غير سبب) [٦٧].

الخامس: أنّ هناك حقائق لا تتضح إلاّ من خلال فهم بعض المصطلحات والتي سوف تأتينا بشيء من التفصيل والبيان في قسمين:

القسم الأول:

(١)

أقول نعم كما قال رحمه الله وعرفه من كلمات الشيخ الأوحد من كون الأئمة الطاهرين واسطة وآلة لفعل الله سبحانه في إيجاد الأشياء، كما سنفصل في الفصول الآتية، ونوضح مقصوده من كونهم آلة لفعل الأشياء، ونثبت أنّ المراد من كونهم علة فاعلية لكل الأشياء كونهم واسطة ومحلاً لفعل الله ومظهراً له في إيجادها، ولقد أصاب رحمه الله في معرفة ما ذكر من كلماته أعلى الله مقامه من معنى العلية لهم عليهم السلام، ولكن اشتبه عليه الأمر في معرفة معنى القيام بين المشية والحقيقة المحمدية، أي قيام كل واحدة بالأخرى[٦٨].

وبالجملة لما كانت اصطلاحات الشيخ الأوحد وحشية جديدة ولم يستأنس بها الفاضل المرحوم اشتبه عليه الأمر، مع أنّ مسألة القيام وانقسامه إلى أربعة أقسام: الركني، والصدوري، والظهوري، والعروضي، من جملة اصطلاحاته المنفرد بها، المكررة في تصانيفه ورسائله، خوفاً من الوقوع في الاشتباه، كما وقع من وقع، ورب من لم يطلع على مصطلح الشيخ الأوحد ومصنفاته ورسائله، ونظر إلى ما ذكره الفاضل المرحوم ونسبه إلى الشيخ ا لأوحد أساء الظن بذلك الأواه، وظن أنه قال بمذهب ضرار، وكون المشية مادة الأشياء[٦٩].

وقال في الهامش:

اعلم أنّ للحقيقة المحمدية مع المشية اعتبارين، وإن شئت قلت مقامين:

---

٦٧ – المصباح للكفعمي ص١٧٠.

٦٨ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٤.

٦٩ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٦.

أحدهما: أنّ الحقيقة أثر المشية والمشية قائمة بها قيام ظهور، والحقيقة قائمة بها قيام صدور، وهذا شأن كل مؤثر مع أثره، فإنّ المؤثر ظاهر بأثره قائم قيام ظهور كقيام ضرب الفعل بأثره وهو الضرب المصدر، فإنّ قيامه بالمصدر قيام ظهور كالكسر بالانكسار بلا ريب.

وثانيهما: أنّ الحقيقة محل المشية ووعاء لها كما في الزيارة : ((السلام على محال مشية الله)) وفي غيبة الطوسي عن كامل بن إبراهيم الهمداني... إلى أن قال الإمام الحجة عليه السلام: (وجئت تسأله عن مقالة المفوضة كذبوا بل قلوبنا أوعية مشية الله)). ويأتي في المقالة العاشرة مقالة التفويض هذه الرواية بطولها، فإذا كانت الحقيقة محلاً ووعاءً للمشية فيكون قيامها بالحقيقة قيام ركن أي قيام تحقق، فافهم إن كنت تفهم.

فالمشية عندنا حادثة من صفات الأفعال لا من صفات الذات بدليل العقل والنقل، فلابد لها من محل تقوم به وليس لها محل حكمة إلاّ الحقيقية المحمدية صلى الله عليه وآله[٧٠].

(٢

قال في شرحه على عرشية الملا صدرا الشيرازي في شرح كلامه (قاعدة مشرقية: المتكلم من قام به الكلام): قوله: المتكلم من قام به الكلام ما يريد به؟ فإنّ القيام يراد به إذا أطلق أحد معان أربعة:

أحدها قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، ومعناه قيام الشيء بإيجاد موجده بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، وذلك كنور الشمس والصورة في المرآة.

ثانيها قيام الظهور: كقيام الكسر بالانكسار، فإنّ الكسر سابق بالذات ولكنه لا يمكن ظهوره في الأعيان إلاّ بالانكسار، لأنّ الانكسار هو قبول الكسر للإيجاد، ولهذا قبل الكسر وجد أولاً وبالذات والانكسار ثانيًا وبالعرض.

وثالثها قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر، بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج ولا في الذهن إلاّ مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعل، إذْ لا تتعقل الصفة قبل الموصوف، وقد يطلق على هذا أعني القيام الثالث الركني، بمعنى أنّ الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حيث هو هو، لا من حيث هو ركنه الأعظم الذي يتقوم به والركن الثاني الأيسر هو الصورة فلك أن تقول: إنه تقوم بالخشب التقوم الركني، وأن تقول: إنه تقوم بالخشب تقوم التحقق.

ورابعها تقوم عروض: كتقوم الصبغ بالثواب انتهى كلامه رفع مقامه[٧١].

---

٧٠ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٥.

٧١ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٦.

(٣

فالقيام بأقسامه الأربعة كما ترى من جملة اصطلاحاته المخصوصة، إذا أطلق القيام أراد به أحد تلك الأقسام لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في موارد استعماله ومعرفتها، فمن مارس كلماته واطلع تلك الموارد اطلع على مراده نور ضريحه كما هو المرسوم في سائر العلوم، وإلاّ وقع في المهالك وارتكب ضيق المسالك. واللازم لمن دخل في كل علم من العلوم الاطلاع أولاً على اصطلاحه وألفاظه المتداولة بين أهله، ثم توضيحه إنْ أراده، أو إيراد إشكال إنْ أشكل عليه.

فالفاضل المرحوم لما لم يمارس مصنفات الشيخ الأوحد ولم يطلع على اصطلاحاته ولم يسمعها من أهله ورأى عبارة له نور الله ضريحه في الجزء الثالث من "شرح العرشية" في بيان معنى الصراط أو غيره ولم يعرف مراده منها، اشتبه ذلك الاشتباه في بيان مقصود ذلك العبد الأواه، والعبارة هذه: قال: وإنْ شئت قلت: فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء لأنّ فعله متقوم بهما يعني بمحمد وعلى تقوم ظهور، وهما تقوماً بفعله تقوم تحقق، وآية فعله بهما أي تقوم فعله بهما، وتقوما هما بفعله كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد وله المثل الأعلى، فإنّ القائم والضارب اسماً فاعل القيام وفاعل الضرب، وليسا اسماً لذات زيد ولا يحملان على ذات زيد إلاّ مجازاً انتهى.

وحيث لم يعرف موارد استعمال القيام، ولم يفرق بين مرتبة اسم الفاعل المسمى مقام الحكاية والبيان، وبين مرتبة أثر الفعل وهو الحقيقة المحمدية، استعمل القيام الذي بين المشية واسم الفاعل، أي قيام المشية باسم الفاعل، وهو القيام الظهوري في المشية والحقيقة المحمدية، أي في قيام المشية بالحقيقة المحمدية، وهو قيام تحقق، واشتبه بين موردي استعمال القيام.

وبالجملة بيان هذا الاشتباه وتوضيحه يتوقف على تقديم مقدمة نافعة وهي. إنك إذا قلت: زيد قائم، يعلم منه أشياء أربعة: الأول ذات زيد، والثاني: صفته وهي القائم، وهو اسم الفاعل أي اسم لفاعل فعل القيام[٧٢]،

(٤

الثالث قام وهو فعل زيد، الرابع القيام: وهو المصدر وأثر فعل زيد، فنسبة قام الذي هو فعل ذات زيد إلى ذات زيد مجاز على اصطلاح النحويين، لأنّ الذات لا تباشر الفعل وهو قام وأجل من المباشرة بالبداهة، إذْ لو كانت تباشر لزم أن تكون قائماً دائماً ولا تفارقه أبداً لأنّ الذاتيات لا تتغير قطعاً، وهو الفارق بين صفات الذات وصفات الفعل، بل الذات توجد الفعل بنفسه ثم تظهره بواسطة صفته أي صفة فعله، وهي القائم "أبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها" فصفة القائم سبب وواسطة لظهور فعل الذات ولذا تسمى هذه الصفة (بالذات الظاهرة)، وهذه الصفة وهي القائم مركب من أمرين، وهما:

٧٢ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٧.

الفعل وهو قام وأثر الفعل وهو القيام المصدر بناءً على ما حقق في محله من كون الفعل هو الأصل والمصدر أثره يعني مشتق منه وهو مذهب الكوفيين، فالمباشر حقيقة للفعل هو القائم الذي هو مظهر الفعل وصفته لا ذات زيد، لأنّ الذات موجد الفعل بنفسه وهو حادث والذات منزهة من مباشرة الحوادث "ولا يجري عليه ما هو أجراه"، بل الذات تظهر فعله بصفة القائم فالصفة هي المباشر، ولذا قال في عبارته المنقولة: فهو تعالى يفعل بهم ما يشاء، يعني يظهر الله بهم، ومنهم أفعاله لأنهم صفاته كما أنّ زيداً يظهر أفعاله من صفاته وهي عناوينه، فظهر أنّ فعل زيد وهو قام يظهر من قائم وهو عنوانه وصفته لا من ذاته، وقيامه قيام ظهور كقيام الكسر بالانكسار، ولذا قال في عبارته المنقولة: لأنّ فعله يتقوم بهما تقوم ظهور يعني أن فعل الله سبحانه قائم بمحمد وعلي الذين هما صفتاه قيام ظهور، وقائم الذي هو صفة زيد واسمه لما كان مركباً من قام الذي هو فعله ومن القيام الذي هو أثر فعله، قلنا: إنه قام بالفعل وهو قام قياماً تحققياً، لأنه لولا الفعل لما اتصف زيد بقائم، وأما القيام وهو أثر قام قام بقام قياماً صدورياً لأنه أثره وصدر منه، فالقائم له لحاظان، فبلحاظ أنه اسم زيد وآيته وآلة ظهور فعله وواسطته وعنوانه وحاكيه مقدم على الفعل رتبة والفعل قائم به قيام ظهور كقيام الكسر بالانكسار، وبلحاظ تركبه من الفعل وأثره واتصاف زيد به بعد الفعل وأثره مؤخر من الفعل وجوداً، فذات زيد ولله المثل الأعلى مثال الذات الأحدية جل وعلا، وقائم مثال عنوانية آل محمد وصفتهم لله سبحانه وتعالى، وقام مثال فعله، والمشية والقيام مثال الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله[٧٣].

القسم الثاني:

(١)

قال في بيان معتقداته: ومن ذلك أنه سبحانه خالق كل شيء، **قال تعالى:** { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }. وأما أفعال العباد الاختيارية ففيها الخلاف بين العلماء، وكل من اعتقد أنّ أحداً غير الله خالق شيء من السماوات والأرض أو مما فيهما، أو رازق لشيء مما فيهما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، نعم قد يطلق هذا مجازاً كما **قال تعالى:** {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}، **وقال الله تعالى:** { وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} يعترض به بعض من ليس له أنس بالفن ولا باصطلاح أهله فإن قلت: إنهم عليهم السلام العلة الفاعلية فمرادي أنهم حال مشية الله، بمعنى أنّ الله سبحانه اطلعهم على ما خلق فوجودهم شرط لإيجاد غيرهم، لأنهم الوسايط من الله ومن خلقه، وإنْ كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب والآلات، إلاّ أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء على ترتب أسبابها ليعرف العباد الدليل على معرفة ما يريد منهم على نمط **قوله:** { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

٧٣ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٨-٢٩٩.

مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ} فإنه تعالى إنما يخلق على العلل ليعرف لعباده كل شيء إلى أن قال: "وليس المراد بالعلة الفاعلية إنهم هم الخالقون تعالى الله عن أن يشاركه في خلقه علواً كبيراً، أما تقرأ قول الله تعالى: { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}" انتهى. وسائر مصنفاته لا سيما "شرح الزيارة" مملوءة بالتصريح بما ذكر، وإن إطلاق العلة الفاعلية عليهم سلام الله عليهم مجاز، لا إنهم فاعلون للأشياء حقيقة فلاحظ شرح "مؤمن بسركم وعلانيتكم" وفقرة "وأجسادكم في الأجساد" وفقرة "موالي لا أحصي ثنائكم" وفقرة "بكم فتح الله وبكم يختم" كيف يصرح فيها بذلك بعبارات وافية وبيانات شافية.

فظهر أنّ مراده من العلة الفاعلية في أي محل أطلقها عليهم عليهم السلام هو كونهم محال المشية التي هي العلة حقيقة لا غيرها، وعلاقة التجوز وهي علاقة الحال والمحل موجودة، لا أنهم حقيقة هم العلة الفاعلية كما توهم من لم يحط خبراً بمقاصده وكلمته قدس سره، إذْ هو صرح بكفر من قال بذلك "في شرح التبصرة" في مبحث نجاسة سؤر الكفار وإلحاق الغلاة بهم، وحمل الأخبار الدالة على عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام على ذلك، أي إطلاقها حقيقة[٧٤].

(٢

قد عرفت في الفصل السابق: أنّ المراد من كونهم عليهم السلام علة فاعلية للأشياء أنهم محال المشية، وقلوبهم أوعيتها. وأنّ إطلاقها عليهم عليهم السلام مجازاً صحيح بلا ارتياب، للعلاقة المصححة الموجودة. بعبارة أخرى، المراد منها إذا أطلقت عليهم أنهم عليهم السلام مظاهر فعل الله سبحانه، الذي هو علة توضيح في المقام، والوصول إلى المقصود والمراد، من بيانات الشيخ الأوحد برسالة "كشف الحق" للسيد الأمجد السيد كاظم الرشتي قدس سره قال في مسألة العلل منها: وفي مسألة العلل الأربع ذكر (يعني الشيخ الأوحد): إنّ الأئمة هم العلل الأربع في العالم، ثم فصل وقال: إنها فاعلية كما في قوله عليه السلام: (نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا، أو صنايع لنا). وكما في قوله تعالى: { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي}، وكما قال تعالى للعقل الكلي الذي هو عقلهم: ادبر فأدبر، ثم قال: أقبل فأقبل، انتهى.

وهذا وإنْ كان ليس فيه صراحة ولا ظهور في مخالفة ما عليه الأئمة، لكن شرح ذلك، وبيّن وأوضح ذلك، وأعلن في (شرح الجامعة) عند قوله عليه السلام: (وآثاركم في الآثار) على أنّ المراد من الفاعل والخالق والعلة وأشباهها من العبارات ليس كما تتوهمه عامة الناس من الفاعلية الحقيقية، وإنما هي مجازية. كما قال ما لفظه الشريف: أوصيك وصية ناصح أن لا

٧٤ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٢٧.

تستغرب هذه وتنكرها، فإنا لا نريد بذلك أنهم فاعلون وخالقون ورازقون، بل الله هو الخالق والرازق والفاعل لما يشاء وحده عز وجل، لم نجعل له شريكاً في شيء، إلاّ أنا نقول أنه سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته لتنزهه وتكرمه عن المباشرة، وإنما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك[٧٥].

(٣

مما ذكره السيد الأمجد أنار الله برهانه في تحرير المقصود؟ وهو أنّ إطلاق العلة الفاعلية والخالق والرازق والمحيي والمميت وغيرها من صفات الأفعال على محمد وآله صلى الله عليه وآله مجاز لا حقيقة، وأنهم أسباب وآلات ووسايط محضة في إيجاد الأشياء، وإجراء الفيوضات، وأنهم السبب الأعظم والشرط الأقوم، وأولها وأقربها إلى الله سبحانه، كما أنّ الملائكة الأربعة آلات صرفة، ووسايط محضة للفيوضات الأربعة، وسائر الملائكة للتدبيرات الجزئية، ونسب الله سبحانه في كلامه المجيد تلك الفيوضات إليهم مجازاً قطعاً لا حقيقة، وجعلهم أسباباً وآلات للإيجاد ولوازمه، ولا يلزم من ذلك الاعتقاد فيهم ضرر ولا فساد، ولا كفر ولا إلحاد، ولا غلو ولا خلاف الرشاد[٧٦].

(٤

والحق أنّ هذا القول من ذلك الشيخ الجليل مع وجود الأخبار المستفيضة، بل المتواترة الصريحة في تقدمهم على كل الموجودات في غاية العجب، وأعجب منه نسبته القول به إلى الغلو، ولا بأس بنقل عبارته قال صلوات الله عليه في مسائل تلعكبرى في جواب السؤال عن أشباح آل محمد سابقة على وجود آدم عليه السلام أم لا؟ قال: والمراد بذلك أنّ أمثلتهم في الصور كانت في العرش فرآها آدم وسئل عنها، فأخبره الله أمثال صور من ذريته شرفهم بذلك وعظمهم به، وأما أن تكون ذواتهم كانت قبل آدم عليه السلام موجودة فذلك باطل بعيد عن الحق، لا يعتقده محصل ولا يدين به عالم، وإنما قال به طوايف من الغلاة الجهال والحشوية من الشيعة، الذين لا بصر لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام، وقد قيل: إنّ الله تعالى كان قد كتب أسمائهم على العرش فرآها آدم عليه السلام وعرفهم بذلك، وعلم إنّ شأنهم عند الله عظيم، وأما القول بأنّ ذواتهم كانت موجودة قبل آدم عليه السلام فالقول ببطلانه على ما قدمناه انتهى[٧٧].

(٥

٧٥ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٣١-٣٣٢.

٧٦ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٣٤-٣٣٥.

٧٧ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٤٥.

ونذكر من عبارة الشيخ عطر الله رمسه من الفائدة الرابعة عشر من الفوائد إتماماً للحجة وإكمالاً للمحجة. قال: "اعلم أنّ الوجود الممكن ذهب أكثر الحكماء والعلماء من أهل الملل وأهل النحل إلى أنّ هذه الموجودات المتكثرة المتعددة المختلفة كلها من طينة واحدة، وإنما اختلفت باختلاف معيناته وتغايرها، وتكثر بتكثر مراتبه من جهة القرب إلى المبدء والبعد، كما تكثرت مراتب نور السراج الواحد من جهة قربه من السراج وبعده، فأقواها نوراً وحرارة ما كان أقرب إلى السراج، وأضعفها نوراً وحرارة ما كان أبعد منه، وما بينهما بالنسبة، فإنه تعالى خلق الوجود لا غير، وهو أول ما خلق الله عز وجل، وهو الماء المذكور في القرآن والأحاديث، فخلق من صفوته نور محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار الأنبياء عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار المؤمنين من الإنس، ثم المؤمنين من الجن، ثم الملائكة، ثم الحيوانات، ثم النباتات، ثم المعادن ثم الجمادات. وأما الإنس الكفار والجن الكفار، والشياطين والمسوخ، والنبات المر والأرض السبخة، فمن عكوسات أولئك الأنوار وأظلتهم. ولهم على وحدة طينة هؤلاء المتكثرين ظهور الأخبار ..." (٧٨).

٧٨ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٤٩.

مناقشة رأي الشيخ الأحسائي يرحمه الله:

[١] أما الأمر الأول: فإنّ من تأمل الآيات القرآنية والروايات ظهر له ضعفه، وأنّ الحق تعالى في مقام البيان وقد جاءت آيات القرآن بإسناد الخلق إلى الله تعالى مباشرة دون هذا التفصيل والدقة التي قد لا تظهر حتى للعالِم فضلاً عن عامة الناس، وقد أبان القرآن الكريم أنّ أمر الله تعالى إذا تعلق بشيء حدث ذلك الشيء، **قال تعالى:** {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(٧٩) ، وأفصحت الروايات بما لا مزيد عليه من البيان ما أبانه القرآن، وإليك بعضاً مما جاء في الروايات:

(وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه و أنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والابصار عن الإحاطة به ، جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعته الناعتون ، نأى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب ، وفي قربه بعيد ، كيف الكيف فلا يقال : كيف ؟ وأين الأين فلا يقال : أين ؟ إذ هو منقطع الكيفوفية والأينونية) (٨٠).

والرواية تبين أمرين: الأول: أنه الخالق مباشرة.

والثاني: أنّ إدراك كيفية خلقه غير متاحة لأنّ ذلك يستلزم معرفة الذات في قربها وبعدها، وكذلك في الأين والكيف، ولا يتاح لأحد من الخلق أن يصل إلى ذلك.

ومنها: ما تقدم عن علي عليه السلام: (كفى باتقان الصنع له آية ، وبتركيب الطبع عليه دلالة ، وبحدوث الفِطر عليه قِدْمَة ، وبإحكام الصنعة عليه عبرة ، فلا إليه حد منسوب ، ولا له مثل مضروب ، ولا شئ عنه بمحجوب ، تعالى عن ضرب الأمثال له ، والصفات المخلوقة علوا كبيرا . وسبحان الله الذي خلق الدنيا للفناء والبيود ، والآخرة للبقاء والخلود).

وهو غاية في الوضوح، وفيه دليل على أنّه تعالى متعالٍ عن ضرب الأمثال والصفات وأنّ الحدود لا تنسب إليه، وإذا كانت الحدود لا تنسب إليه فهو لا يدرك لأنّ الإدراك لا يكون إلاّ بحد، فيكون سبحانه خلق الخلق دون أن يُعرف حد ذلك لأنه يرجع إلى تحديد ذاته.

---

٧٩ – يس:٨٢.

٨٠ – الكافي للكليني ج١ ص١٣٨.

ومنها: ما تقدم عن الإمام الصادق عليه السلام:(بل هو الخالق للاشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه) والرواية على نسق ما تقدم فهو تعالى خلق الخلق دون احتياج إليهم لكنه لا يعرف لاستحالة الحد عليه والكيف فيه.

[٢] وأما الأمر الثاني: وهو وجود بعض الروايات التي فسرها على ضوء اصطلاحاته، ومن هذه الروايات: (عِلَّةُ مَا صَنَعَ صُنْعُهُ وَهُوَ لاَ عِلَّةَ لَهُ)، ومنها: (فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا) [٨١].

فإنّ من الواضح أنّ قوله عليه السلام: (والناس بعد صنائع لنا) تبيان على أنهم عليهم السلام معلمون للخلق، لأنّ الله تعالى علمهم، وقد جاء عنه (ص): (أنا أديب الله وعلي أديبي)[٨٢]، وجاء أيضاً: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٨٣]، وهذه الروايات وما ورد على نسقها توضح أنّ علمهم وأدبهم لدني إلهي لم يأتِ من أحد من الخلق وأنّ سائر الخلق يتعلمون منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا هو الظاهر من هذه الروايات، ولو شكك أحد في هذا الظهور فهو على أقل تقدير مساوٍ للمعنى الذي فهمه الشيخ الأحسائي يرحمه الله، ومن الواضح أنّ الرواية إذا كان لها احتمال آخر لم يصح الاستدلال بها على أحد المعنيين الذي قد يكون مرجوحاً لكونه على خلاف ما يفهمه العلماء وعامة الناس من هذه الروايات، (وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال عند العلماء).

أما قوله عليه السلام: (عِلَّةُ مَا صَنَعَ صُنْعُهُ وَهُوَ لاَ عِلَّةَ لَهُ) فقد ورد في خطبة الدرة برواية أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن ناقة، أبو العباس الْمُسْلي الكوفي، وفي الخطبة دقائق كثيرة من أهم ما فيها أنّ بعض مقاطعها يرد ما فهمه الشيخ يرحمه الله من هذه الجملة: انظر إلى قولي الإمام عليه السلام: (وَبِهِ كَانَ الْخَلْقُ لاَ بِالْخَلْقِ كَانَ)، وإلى: (لَيْسَ لِكَانَ كَوْنهُ كَانَ وَلَكِنَّهُ كَوَّنَ الْكَانَ فَكَانَ ، وَإِنَّمَا كَانَ حُرُوفٌ تَأْتَلِفُ وَتَفْتَرِقُ)، فمن تأمل (وبه كان الخلق) يجد أنّ معناه هو الوجود التعلقي وأنه لا حقيقة للخلق إلاّ به تعالى، وكذلك من تأمل (ليس لكان كونه كان) بمعنى أنّ قوله: (كن) لم يتقدمه شيء لأنه أمره السابق لغيره، ولهذا قال: إنه تعالى (كون الكان) أي أحدثه فكان أي تحقق، وشرح ذلك عليه السلام بتبيان أنّ لفظة كن هي حروف تأتلف وتفترق فجاءت للتدليل على أمره تعالى لإحداث الخلق، وهذا المعنى ورد عنه عليه السلام في شرح (كن)، وأنّ قول الحق: (كن فيكون . لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع . وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه . ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ، ولو كان قديما لكان إلهًا ثانيًا)[٨٤].

---

٨١ – نهج البلاغة ج٣ ص٣٢.

٨٢ – بحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢٣١.

٨٣ – بحار الأنوار للمجلسي ج١٦ ص٢١٠.

٨٤ – نهج البلاغة ج٢ ص١٢٣.

ولهذا فإنّ لمعنى: (علة ما صنع صنعه، وهو لا علة له) احتمالات متعددة:

منها: أن يكون المعنى تبيان للعلل المعدة وتأثيرها في الأشياء، وأنّ هذا التأثير يرجع إليه فهو المؤثر بحق في غيره وإنْ لم يلتفت أحد إلى تأثيره، أما هو فلا مؤثر فيه ويكون معنى الجملة أنّ ما صنعه يؤثر في بعضه الآخر لكون الله تعالى أبى أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها الطبيعية بمعنى أنه أوجد علقة بين بعضها وبعضها الآخر، ولا تدل الجملة على أنّ صنعه هو المؤثر أي المحدِث للأشياء لتقدمه الرتبي أو لاستحالة صدور الكثير عن الواحد أو لعدم قاعدة السنخية، فإنّ الجملة ليس لها ظهور فيما حملت عليه من المعاني، والمعنى الأقرب لها هو ما أوضحناه، وقد جاء هذا المعنى في روايات كثيرة.

ومنها: أن يكون معنى الجملة (علة ما صنع صنعه، وهو لا علة له) أنه تعالى وحده لا شريك له لا علة له، أما غيره فإنه معلول له إما مباشرة أو بالعلل المعدة، وتكون الجملة بصدد الرد على من توهم أنّ لكل موجود علة، ومعناها حينئذ أنّ الموجود إذا كان واجباً فلا علة له، أما ما سواه فمعلول له تعالى، وقد تدخل في معلوليته العلل المعدة.

[٣] وأما الأمر الثالث: وهو استحالة إطلاق العلة على الله تعالى لأنها إما تامة فيستحيل تخلف المعلول عنها وبناءً على ذلك يصبح الخلق قديماً كالذات المقدسة أو ناقصة فيكون الباري تعالى محتاجاً إلى غيره لإيجاد الخلق.

من هنا لابد من القول بأنّ العلة هي غيره وليست الذات المنزهة. والذي يظهر لي أنّ إطلاق العلة على الذات المقدسة بمعنى السبب الوارد في الروايات ولا يراد به الإطلاق الصادق على العلل المادية التامة إذْ أنّ هناك فرق جوهري بين الوجود الواجبي ووجود الممكن، فالممكن إذا أُطلق عليه علة بالمعنى الفلسفي استحال تخلف المعلول عنه، أما الواجب تعالى لكونه فاعلاً بالاختيار فلا يستحيل تخلف المعلول عنه.

قد يقال إنّ هذا تخصيص في قانون العلية، وهو قانون عقلي غير قابل للتخصيص، ولا يسوغ إطلاقه على الله تعالى بمعنى غير المعنى الذي يطلق على الممكن.

والجواب: أنّ الآيات والروايات أوضحت أنه ليس كمثله شيء، فما يصدق على الممكن لا يصدق على الوجود الواجبي، وبعض الحدود الصادقة على غيره لا تصدق عليه لأنّ الحد قاهر للمحدود، أما هو تعالى فهو قاهر لغيره، وهو الواحد القهار، ولهذا لا يمكن الخلاص من هذا الإشكال حتى إذا أبدلنا لفظة العلة بلفظة السبب، فإنّ الإشكال سيعود ويقال هل أنّ الله تعالى سبب تام أو ناقص، فإنْ كان تاماً استحال تخلف المسبب عنه، وإنْ كان ناقصاً احتاج إلى غيره، والجواب أنّ هذا المقام لا مسرح للعقول فيه لأنه لو أدرك العقل ذلك للزم منه محدودية الذات.

[٤] وأما الأمر الرابع: أنّ أسماء الله تعالى توقيفية فلا يجوز إطلاق العلة على الذات المقدسة، وقد ورد في بعض الروايات عن مولانا الرضا عليه السلام: (لا تسمه بما لم يسمِ به نفسه).

نعم؛ ورد في بعض الأدعية إطلاق السبب على الله تعالى: (اللهم يا سبب من لا سبب له يا سبب كل ذي سبب يا مسبب الأسباب من غير سبب)[٨٥].

فينبغي في هذا المقام أن نلتفت أنّ إطلاق لفظ العلة على الله تعالى ليس للتسمية بل للإيضاح والتفهيم وهو من قبيل إطلاق واجب الوجود على الذات المقدسة الذي لم يستشكل فيه الشيخ ولا أتباعه لمعرفتهم أنّ المراد من وجوب الوجود اصطلاح فلسفي للتفهيم والشرح والإيضاح، وهو من قبيل إطلاق بعض اصطلاحات الشيخ يرحمه الله على المعصومين التي لا تعرف إلاّ من خلال فهم المصطلح، كذلك الحال في إطلاق العلة على الله تعالى، وبناءً على ذلك عندنا مقامان:

الأول: أن نطلق لفظاً على الله تعالى ونجعله اسماً من أسمائه، وهذا مقام ورد النهي عنه كما لو أطلقنا على الذات المقدسة لفظة حمدان فهو في اللغة كثير الحمد، وقد جاء ما يقرب من معناه في القرآن الكريم في **قوله تعالى**: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}[٨٦] ، فشكور كثير الشكر، وحمدان كثير الحمد، لكنّ حمدان لم يرد إطلاقه على الله تعالى ولا يجوز أن نجعله اسماً له.

الثاني: أن نطلق لفظًا على الذات المقدسة ليس من باب أنه اسم للذات بل من باب أنه مصطلح يوضح حقيقة كواجب الوجود بالذات، وعلة العلل وهلم جرا في بعض الإطلاقات التي يراد بها إيصال معنى يختص بالذات المقدسة دون

---

٨٥ – المصباح للكفعمي ص١٧٠.

٨٦ – فاطر:٣٠.

ما سواها من الذوات، وهذه ألفاظ للتفهيم ولم توضع لِيُدْعَى بها الحق تعالى كي يقال لا يجوز استعمالها في الدعاء لأنها من إطلاق اسم على الله لم يرد في الآيات والروايات، وشتان ما بين المقامين، وكشاهد على ذلك فإنّ الميرزا موسى قدس الله نفسه الزكية أطلق على الله تعالى علة العلل، انظر إلى قوله يرحمه الله: "أنّ المراد من كونهم عليهم السلام علة فاعلية للأشياء أنهم محال المشية، وقلوبهم أوعيتها. وأنّ إطلاقها عليهم عليهم السلام مجازاً صحيح بلا ارتياب، للعلاقة المصححة الموجودة. بعبارة أخرى: المراد منها إذا أطلقت عليهم أنهم عليهم السلام مظاهر فعل الله سبحانه، الذي هو علة العلل ومنتهى العلل، على الحق الحقيق[٨٧].

وفي هذا البيان أطلق الميرزا موسى يرحمه الله على الله تعالى علة العلل ومنتهى العلل بالمعنى الاصطلاحي الفلسفي دون أن يستوحش من إطلاقه.

[٥] وأما الأمر الخامس: فسوف نعلق عليه بشيء من الإسهاب كي نوضح فيه اصطلاحات الشيخ الأحسائي يرحمه الله، وقد اخترنا لبيان تلكم المصطلحات المتعلقة بالمقام كتاب إحقاق الحق للعالم الجليل الميرزا موسى الأسكوئي والد العلامة الميرزا علي الحائري يرحمه الله، وهو قدس الله نفسه الزكية أفضل من أبان مصطلحات الشيخ في كتابه المذكور، وسيكون البحث في قسمين:

الأول: معاني القيام وانقسامه إلى الأقسام الأربعة عند الشيخ يرحمه الله، قال الميرزا موسى في رده على المستشكل على الشيخ الأحسائي في إطلاق العلة الفاعلية:

أقول نعم كما قال رحمه الله وعرفه من كلمات الشيخ الأوحد من كون الأئمة الطاهرين واسطة وآلة لفعل الله سبحانه في إيجاد الأشياء، كما سنفصل في الفصول الآتية، ونوضح مقصوده من كونهم آلة لفعل الأشياء، ونثبت أنّ المراد من كونهم علة فاعلية لكل الأشياء كونهم واسطة ومحلاً لفعل الله ومظهراً له في إيجادها، ولقد أصاب رحمه الله في معرفة ما ذكر من كلماته أعلى الله مقامه من معنى العلية لهم عليهم السلام، ولكن اشتبه عليه الأمر في معرفة معنى القيام بين المشية والحقيقة المحمدية، أي قيام كل واحدة بالأخرى[٨٨].

وبالجملة لما كانت اصطلاحات الشيخ الأوحد وحشية جديدة ولم يستأنس بها الفاضل المرحوم اشتبه عليه الأمر، مع أنّ مسألة القيام وانقسامه إلى أربعة أقسام: الركني، والصدري، والظهوري، والعروضي، من جملة اصطلاحاته المنفرد بها، المكروه في تصانيفه ورسائله، خوفاً من الوقوع في الاشتباه، كما وقع من وقع، ورب من لم يطلع على مصطلح الشيخ الأوحد

٨٧ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٣١.

٨٨ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٤.

ومصنفاته ورسائله، ونظر إلى ما ذكره الفاضل المرحوم ونسبه إلى الشيخ ا لأوحد أساء الظن بذلك الأواه، وظن أنه قال بمذهب ضرار، وكون المشية مادة الأشياء[٨٩].

وقد أوضح في الهامش كيفية قيام المشيئة بالحقيقة المحمدية مع قيام الحقيقة المحمدية بالمشيئة، فقال يرحمه الله:

اعلم أنّ للحقيقة المحمدية مع المشية اعتبارين، وإن شئت قلت مقامين:

أحدهما: أنّ الحقيقة أثر المشية والمشية قائمة بها قيام ظهور، والحقيقة قائمة بها قيام صدور، وهذا شأن كل مؤثر مع أثره، فإنّ المؤثر ظاهر بأثره قائم قيام ظهور كقيام ضرب الفعل بأثره وهو الضرب المصدر، فإنّ قيامه بالمصدر قيام ظهور كالكسر بالانكسار بلا ريب.

وثانيهما: أنّ الحقيقة محل المشية ووعاء لها كما في الزيارة : ((السلام على محال مشية الله)) وفي غيبة الطوسي عن كامل بن إبراهيم الهمداني إلى أن قال الإمام الحجة عليه السلام: (وجئت تسأله عن مقالة المفوضة كذبوا بل قلوبنا أوعية مشية الله)). ويأتي في المقالة العاشرة مقالة التفويض هذه الرواية بطولها، فإذا كانت الحقيقة محلاً ووعاءً للمشية فيكون قيامها بالحقيقة قيام ركن أي قيام تحقق، فافهم إن كنت تفهم.

فالمشية عندنا حادثة من صفات الأفعال لا من صفات الذات بدليل العقل والنقل، فلابد لها من محل تقوم به وليس لها محل حكمة إلاّ الحقيقية المحمدية صلى الله عليه وآله[٩٠].

ويريد بهذا أنّ معنى كونهم علة فاعلة للأشياء أنّ المشيئة لله تعالى المخلوقة بنفسها وهي كالنية للإنسان فإنها توجد بنفسها ولا تحتاج إلى نية، كذلك المشيئة أوجدت الحقيقة المحمدية وقامت بها أي ظهرت وتحققت بالحقيقة المحمدية، ولهذا تكون الحقيقة المحمدية صدرت من المشيئة وبصدورها من المشيئة تكون قائمة بالمشيئة قيام صدور، وبما أنّ المشيئة متحققة بالحقيقة المحمدية فتكون قائمة بها قيام تحقق وركن، بمعنى أنه لا محل للمشيئة لأنها حادثة إلاّ الحقيقة المحمدية، كذلك أيضًا هناك اعتبار آخر وهو أنّ المشيئة ظهرت بالحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية صدرت من لدن المشيئة فتكون المشيئة قائمة بالحقيقة قيام ظهور والحقيقة المحمدية قائمة بالمشيئة قيام صدور أي أنها حدثت بالمشيئة، ويستند في ذلك يرحمه الله إلى ما جاء في الزيارة: (السلام على محال مشية الله) وإلى ما جاء في الرواية عن مولانا المهدي عليه السلام: (وجئت تسأله عن مقالة المفوضة ، كذبوا بل قلوبنا أوعية لمشية الله ، فإذا شاء شئنا ، **والله يقول** : " و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله")[٩١].

---

٨٩ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٦.

٩٠ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٥.

٩١ – بحار الأنوار للمجلسي ج٢٥ ص٣٣٧.

ولنا هنا وقفة تأمل مع الشيخ يرحمه الله في هذا المصطلح:

لا إشكال في أنّ العالم يسوغ له أن يحدث اصطلاحات تدلل على مطلب أو مطالب علمية بإيصال معانيها إلى غيره، غير أنّ الكلام في المعنى المراد إيصاله، فماذا يريد الشيخ يرحمه الله أن يوصله إلى العلماء والناس كافة؟

هل يريد أن يوصل معاني العلية بالاصطلاح الفلسفي المؤصل عند الكل وهو أنّ العلة الفاعلية ما تؤثر في المعلول والمادية ما يتكون منها المعلول، والصورية وهي هيئة الشيء التي تتقوم بها شيئيته، أو يريد معنى آخر للعلة؟ فإنْ كان يريد المعنى المشهور فإنّ هذه الاصطلاحات التي أوردها فيها بعد واضح عن المعنى المشهور، ولهذا هناك فرق بين الخشب كمادة للسرير وبين النجار كفاعل لإحداث السرير وبين الهيئة الخاصة بالسرير والحقيقة المحمدية فإنّ الحقيقة المحمدية لم يرد دليل على كونها علة فاعلية كالنجار فضلاً عن أن تكون مادة لمفردات الوجود كالخشب للسرير، وعليه فإنّ ظهور حقائق الأشياء بشيئيتها لا يرتبط بالحقيقة المحمدية، إذن يمكننا قبول مصطلح الشيخ يرحمه الله الذي شرحه الميرزا موسى قدس الله نفسه الزكية وتقوّم الحقيقة المحمدية بالمشيئة قيام صدور وتقوم المشيئة بالحقيقة المحمدية قيام ظهور، ومع ذلك لا نسلم بكون الحقيقة المحمدية هي العلة الفاعلية أو العلة الصورية للأشياء.

والخلاصة: أنّ المصطلح بعيد تمام البعد عمّا يراه الفلاسفة لمعنى العلة، وأما الاستدلال على ذلك بما جاء في بعض الزيارات (السلام على محال مشية الله) فإنّ المراد به أنهم عليهم السلام محال لمشية الله تعالى التشريعية، وقد أوضح هذا المعنى في الآيات القرآنية والروايات، ويكفينا **قوله تعالى:** {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[٩٢] أي أنّ أمره (ص) ونهيه أمر الله تعالى ونهيه، وكذلك أمرهم ونهيهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بموجب **قوله تعالى:** {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[٩٣] ، وبموجب حديث الثقلين وبقية الآيات والروايات التي لا حصر لها لكثرتها، وبذلك يظهر معنى قول الحجة عليه السلام: (بل قلوبنا أوعية لمشية الله ، فإذا شاء شئنا ، **والله يقول :** " وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ") فإنّ المراد به المشيئة التشريعية وليس التكوينية الواردة في **قوله تعالى:** {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٩٤] ، ولهذا استدل الإمام عليه السلام على المطلب **بقوله تعالى:** {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

وإليك بعض عبارات الشيخ الأحسائي يرحمه الله بعد أن شرحنا المعنى لاصطلاحاته:

---

٩٢ – الحشر:٧.

٩٣ – المائدة:٦٧.

٩٤ – يس:٨٢.

قال في شرحه على عرشية الملا صدرا الشيرازي في شرح كلامه (قاعدة مشرقية: المتكلم من قام به الكلام): قوله: المتكلم من قام به الكلام ما يريد به؟ **فإنّ القيام يراد به إذا أطلق أحد معان أربعة:**

أحدها : قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، ومعناه قيام الشيء بإيجاد موجده بحيث لا يتحقق في مدة أكثر من مدة إيجاده، وذلك كنور الشمس والصورة في المرآة.

ثانيها : قيام الظهور: كقيام الكسر بالانكسار، فإنّ الكسر سابق بالذات ولكنه لا يمكن ظهوره في الأعيان إلاّ بالانكسار، لأنّ الانكسار هو قبول الكسر للإيجاد، ولهذا قبل الكسر وجد أولاً وبالذات والانكسار ثانيًا وبالعرض.

وثالثها : قيام التحقق كقيام الانكسار بالكسر، بمعنى أنه لا يتحقق لا في الخارج ولا في الذهن إلاّ مسبوقاً بالكسر لأنه انفعال الكسر لفعل الفاعل، إذْ لا تتعقل الصفة قبل الموصوف، وقد يطلق على هذا أعني القيام الثالث الركني، بمعنى أنّ الانكسار في الحقيقة مادته من نفس الكسر من حيث هو هو، لا من حيث هو ركنه الأعظم الذي يتقوم به والركن الثاني الأيسر هو الصورة فلك أن تقول: إنه تقوم بالخشب التقوم الركني، وأن تقول: إنه تقوم بالخشب تقوم التحقق.

ورابعها : تقوم عروض: كتقوم الصبغ بالثوب انتهى كلامه رفع مقامه[٩٥].

وإذا تأملت في هذا الكلام يظهر لك أنّ إيضاح الميرزا موسى يرحمه الله في غاية الدقة، فلم يحد قيد أنملة عن معنى كلام الشيخ قدس الله نفسه، وقد أوردنا ذلك ليظهر للقارئ التطابق بين شرح المعاني وحقيقة ما قاله الشيخ الأحسائي رحمه الله.

وقد أفاض الميرزا موسى رحمه الله في ذلك فقال: فالقيام بأقسامه الأربعة كما ترى من جملة اصطلاحاته المخصوصة، إذا أطلق القيام أراد به أحد تلك الأقسام لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في موارد استعماله ومعرفتها، فمن مارس كلماته واطلع تلك الموارد اطلع على مراده نور ضريحه كما هو المرسوم في سائر العلوم، وإلاّ وقع في المهالك وارتكب ضيق المسالك. واللازم لمن دخل في كل علم من العلوم الاطلاع أولاً على اصطلاحه وألفاظه المتداولة بين أهله، ثم توضيحه إنْ أراده، أو إيراد إشكال إنْ أشكل عليه.

فالفاضل المرحوم لما لم يمارس مصنفات الشيخ الأوحد ولم يطلع على اصطلاحاته ولم يسمعها من أهله ورأى عبارة له نور الله ضريحه في الجزء الثالث من "شرح العرشية" في بيان معنى الصراط أو غيره ولم يعرف مراده منها، اشتبه ذلك الاشتباه في بيان مقصود ذلك العبد الأواه، والعبارة هذه: قال: وإنْ شئت قلت: فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء لأنّ فعله

٩٥ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٦.

متقوم بهما يعني بمحمد وعلى تقوم ظهور، وهما تقوماً بفعله تقوم تحقق، وآية فعله بهما أي تقوم فعله بهما، وتقوما هما بفعله كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد وله المثل الأعلى، فإنّ القائم والضارب اسما فاعل القيام وفاعل الضرب، وليسا اسمين لذات زيد ولا يحملان على ذات زيد إلاّ مجازاً انتهى.

وحيث لم يعرف موارد استعمال القيام، ولم يفرق بين مرتبة اسم الفاعل المسمى مقام الحكاية والبيان، وبين مرتبة أثر الفعل وهو الحقيقة المحمدية، استعمل القيام الذي بين المشية واسم الفاعل، أي قيام المشية باسم الفاعل، وهو القيام الظهوري في المشية والحقيقة المحمدية، أي في قيام المشية بالحقيقة المحمدية، وهو قيام تحقق، واشتبه بين موردي استعمال القيام.

وبالجملة بيان هذا الاشتباه وتوضيحه يتوقف على تقديم مقدمة نافعة وهي. إنك إذا قلت: زيد قائم، يعلم منه أشياء أربعة: الأول ذات زيد، والثاني: صفته وهي القائم، وهو اسم الفاعل أي اسم لفاعل فعل القيام.

الثالث قام وهو فعل زيد.

الرابع القيام: وهو المصدر وأثر فعل زيد، فنسبة قام الذي هو فعل ذات زيد إلى ذات زيد مجاز على اصطلاح النحويين، لأنّ الذات لا تباشر الفعل وهو قام وأجل من المباشرة بالبداهة، إذْ لو كانت تباشر لزم أن تكون قائمةً دائماً ولا تفارقه أبداً لأنّ الذاتيات لا تتغير قطعاً، وهو الفارق بين صفات الذات وصفات الفعل، بل الذات توجد الفعل بنفسه ثم تظهره بواسطة صفته أي صفة فعله، وهي القائم "أبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها" فصفة القائم سبب وواسطة لظهور فعل الذات ولذا تسمى هذه الصفة (بالذات الظاهرة)، وهذه الصفة وهي القائم مركب من أمرين، وهما: الفعل وهو قام وأثر الفعل وهو القيام المصدر بناءً على ما حقق في محله من كون الفعل هو الأصل والمصدر أثره يعني مشتق منه وهو مذهب الكوفيين، فالمباشر حقيقة للفعل هو القائم الذي هو مظهر الفعل وصفته لا ذات زيد، لأنّ الذات موجد الفعل بنفسه وهو حادث والذات منزهة من مباشرة الحوادث "ولا يجري عليه ما هو أجراه"، بل الذات تظهر فعله بصفة القائم فالصفة هي المباشر، ولذا قال في عبارته المنقولة: فهو تعالى يفعل بهم ما يشاء، يعني يظهر الله بهم، ومنهم أفعاله لأنهم صفاته كما أنّ زيداً يظهر أفعاله من صفاته وهي عناوينه، فظهر أنّ فعل زيد وهو قام يظهر من قائم وهو عنوانه وصفته لا من ذاته، وقيامه قيام ظهور كقيام الكسر بالانكسار، ولذا قال في عبارته المنقولة: لأنّ فعله يتقوم بهما تقوم ظهور يعني أن فعل الله سبحانه قائم بمحمد وعلي الذين هما صفتاه قيام ظهور، وقائم الذي هو صفة زيد واسمه لما كان مركباً من قام الذي هو فعله ومن القيام الذي هو أثر فعله، قلنا: إنه قام بالفعل وهو قام قياماً تحققياً، لأنه لولا الفعل لما اتصف زيد بقائم، وأما القيام وهو أثر قام قام بقام قياماً صدورياً لأنه أثره وصدر منه، فالقائم له لحاظان، فبلحاظ أنه اسم زيد وآيته وآلة ظهور فعله وواسطته وعنوانه وحاكيه مقدم على الفعل رتبة والفعل قائم به قيام ظهور كقيام الكسر بالانكسار، وبلحاظ تركبه من الفعل وأثره

واتصاف زيد به بعد الفعل وأثره مؤخر من الفعل وجوداً، فذات زيد ولله المثل الأعلى مثال الذات الأحدية جل وعلا، وقائم مثال عنوانية آل محمد وصفتهم لله سبحانه وتعالى، وقام مثال فعله، والمشية والقيام مثال الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله[٩٦].

وتعليقنا على كلامه يرحمه الله بقوله:

لأنّ الذات لا تباشر الفعل وهو قام وأجل من المباشرة بالبداهة، إذْ لو كانت تباشر لزم أن تكون قائماً دائماً ولا تفارقه أبداً لأنّ الذاتيات لا تتغير قطعاً، وهو الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، بل الذات توجد الفعل بنفسه ثم تظهره بواسطة صفته أي صفة فعله، وهي القائم ((أبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها)) فصفة القائم سبب وواسطة لظهور فعل الذات، ولذا تسمى هذه الصفة (بالذات الظاهرة)، وهذه الصفة وهي القائم مركب من أمرين: وهما: الفعل وهو قام، وأثر الفعل وهو القيام المصدر بناءً على ما حقق في محله من كون الفعل هو الأصل والمصدر أثره يعني مشتق منه وهو مذهب الكوفيين.

من يتأمل في هذا الكلام يجد أنه تقريب للمطلب الموجود في عالم الإمكان بفعل الله تعالى الذي لا نعرف كيفية إحداثه إذْ هو يرتبط بالذات للباري تعالى، ومعرفة كيفية ارتباط الحادث بالقديم المتعال يلزم منه إدراك الذات الذي تقدم أنه محال، وقد أوضحت الآيات والروايات امتناع ذلك على الإنسان، **قال تعالى:** {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[٩٧].

الثاني: لا يخفى أنّ الشيخ الأحسائي يرحمه الله من جهابذة العلماء، وله إسهامات متعددة في حقول معرفية شتى، لكن ذلك لا يعني أنه لا يقع في اشتباه ولا يناقش فيما ذهب إليه، كما أنه يرحمه الله لا شبهة في توحيده الخالص لله تعالى، وقد أظهر ذلك تصريحًا في كتاباته المتعددة مبينًا أنّ من اعتقد بوجود خالق غير الله تعالى لأي مفردة من مفردات الكون فهو كافر، ونص على أنّ الأئمة عليهم السلام عباد مخلوقون لله تعالى غير أنه استظهر من الروايات الدالة على كونهم عليهم السلام محال مشيئة الله تعالى أنهم علة فاعلية بعلاقة الحال بالمحل كما نقول: جرى الميزاب، والميزاب لم يجرِ، وإنما جرى الماء في الميزاب، كذلك يصح إطلاق خالق عليهم بهذه العلاقة.

---

٩٦ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٢٩٨-٢٩٩.

٩٧ – طه:١١٠.

ولنا على هذا الاستنتاج ملاحظات:

الأولى: أنّ كونهم محال مشيئة الله تعالى لا يعني أنهم محال مشيئة الله التكوينية بل الأظهر أنهم عليهم السلام محال مشيئة الله التشريعية، وقد أشرنا فيما سبق أنه إذا كان هذا الاحتمال واردًا بطل الاستدلال بكونهم عليهم السلام محال مشيئة الله سبحانه تكويناً.

الثانية: أنّ إطلاق العلة الفاعلية عليهم صلوات الله وسلامه عليهم باصطلاحه يرحمه الله الذي خالف به جميع الفلاسفة لأنّ الفلاسفة يطلقون العلة الفاعلية إما على المؤثر حقيقة أو على جزء العلة أو على العلل المعدة، أما إطلاق العلة الفاعلية بعلاقة الحال والمحل فلا يصح فلسفيًّا إلاّ على نحو المجاز كما أفاده يرحمه الله.

الثالثة: أما قوله يرحمه الله: " إذْ لو كانت تباشر لزم أن تكون قائمةً دائماً ولا تفارقه أبداً لأنّ الذاتيات لا تتغير قطعاً، وهو الفارق بين صفات الذات وصفات الفعل"

إنّ هذا الكلام فيه تأملات كثيرة:

أولاً: من قال إنّ الذات الممكنة لا تباشر الفعل، بهذا التحليل العجيب والخارج عن الاصطلاح الفلسفي جملة وتفصيلاً، فإنّ الممكنات يؤثر بعضها في بعضها الآخر مباشرة دون توسط وليس بواسطة الفعل الحادث من الذات كما تصور الشيخ يرحمه الله.

ثانيًا: ليس معنى كون الصفة ذاتية في الممكن أنها عين الموصوف إذْ هناك فرق بين الممكن والواجب، فالواجب صفاته عين ذاته، أما الممكن فإنّ أوصافه الذاتية ملازمة له كملازمة الحرارة للنار، ومعنى ذلك إمكان تصور كل منهما منفكًا عن الآخر، ولهذا فإنّ الناطقية هي فصل الإنسان بالاصطلاح المنطقي والفلسفي، لتركب الإنسان من الجنس والفصل، ولكنه ليس بالضرورة أن يراد بالإنسان هو فعلية التعقل وإدراك الكليات بل يراد به شأنية ذلك وإمكان التفكيك بينهما تصورًا، هذا في الذاتيات، فما بالك بالنسبة للأمور المتأخرة عن الذات كفعل الذات، فإنه يمكن نسبة صدوره إلى الذات مباشرة دون أن يكون ذاتياً لا ينفك لصحة نسبة التعقل وإدراك الكليات إلى الإنسانية شأنًا بمعنى أنه يمكن تصور الإنسان دون ملازمة إدراك الكليات والتعقل، ومن لاحظ ذلك وعرفه بالدقة المطروحة لدى الفلاسفة علم ما في كلام الشيخ قدس الله نفسه الزكية من ضعف.

الرابعة: كان ينبغي عليه يرحمه الله أن يعطي مزيدًا من الإيضاح بوجود فرق بين مصطلحه والمصطلح الفلسفي لأنّ كل من قرأ كلامه ولم يعرف المصطلح الخاص به حمل الكلام على المصطلح الفلسفي، واتهم الشيخ يرحمه الله بأنه يرى أنّ الأئمة

عليهم السلام علة فاعلية مؤثرة مع عدم توافر الدليل على ذلك، وهكذا أيضًا في إطلاق العلة الصورية كما سنشير إلى ذلك.

وإليك ما أفاده الشيخ الأحسائي قدس الله نفسه:

قال في بيان معتقداته: ومن ذلك أنه سبحانه خالق كل شيء، **قال تعالى:** { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}. وأما أفعال العباد الاختيارية ففيها الخلاف بين العلماء، وكل من اعتقد أنّ أحداً غير الله خالق شيء من السماوات والأرض أو مما فيهما، أو رازق لشيء مما فيهما، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، نعم قد يطلق هذا مجازاً كما **قال تعالى:** {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}، **وقال الله تعالى:** { وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} يعترض به بعض من ليس له أنس بالفن ولا باصطلاح أهله بأني قلت: إنهم عليهم السلام العلة الفاعلية فمرادي أنهم حال مشية الله، بمعنى أنّ الله سبحانه اطلعهم على ما خلق فوجودهم شرط لإيجاد غيرهم، لأنهم الوسايط من الله ومن خلقه، وإنْ كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب والآلات، إلاّ أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء على ترتب أسبابها ليعرف العباد الدليل على معرفة ما يريد منهم على نمط **قوله:** { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ} فإنه تعالى إنما يخلق على العلل ليعرف لعباده كل شيء إلى أن قال: "وليس المراد بالعلة الفاعلية إنهم هم الخالقون تعالى الله عن أن يشاركه في خلقه علواً كبيراً، أما تقرأ **قول الله تعالى:** { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}" انتهى. وسائر مصنفاته لا سيما "شرح الزيارة" مملوءة بالتصريح بما ذكر، وإن إطلاق العلة الفاعلية عليهم سلام الله عليهم مجاز، لا إنهم فاعلون للأشياء حقيقة فلاحظ شرح "مؤمن بسركم وعلانيتكم" وفقرة "وأجسادكم في الأجساد" وفقرة "موالي لا أحصي ثنائكم" وفقرة "بكم فتح الله وبكم يختم" كيف يصرح فيها بذلك بعبارات وافية وبيانات شافية.

فظهر أنّ مراده من العلة الفاعلية في أي محل أطلقها عليهم عليهم السلام هو كونهم محال المشية التي هي العلة حقيقة لا غيرها، وعلاقة التجوز وهي علاقة الحال والمحل موجودة، لا أنهم حقيقة هم العلة الفاعلية كما توهم من لم يحط خبراً بمقاصده وكلمته قدس سره، إذْ هو صرح بكفر من قال بذلك "في شرح التبصرة" في مبحث نجاسة سؤر الكفار وإلحاق الغلاة بهم، وحمل الأخبار الدالة على عدم جواز إطلاق العلة الفاعلية عليهم عليهم السلام على ذلك، أي إطلاقها حقيقة[٩٨].

إذن هذا تصريح منه يرحمه الله بأنّ من جعلهم علة فاعلية يلحق بالغلاة، وهذا رأي جميع الفقهاء لأنّ ذلك يلزم منه إما الشركة مع الله سبحانه أو إنكار تأثير الباري وإسناد التأثير إليهم أو غير ذلك من اللوازم الفاسدة.

---

٩٨ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٢٧.

عمدة استدلال الشيخ

يكرر الشيخ يرحمه الله أنّ الله تعالى لا يفعل أفعاله مباشرة لأنه أبى أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها، ولهذا فإنّ السبب للخلق هو الحقيقة المحمدية لأنّها الفعل الصادر من المشيئة، والمشيئة خُلقت بنفسها كالنية.

ومن يتأمل في هذا الكلام يجده مخالفًا لروايات كثيرة وآيات متعددة، وقد ذكرنا بعضًا من تلكم الآيات والروايات الدالة على إسناد الخلق إلى الله تعالى وتعمدنا في إيراد الآيات والروايات بذكر الروايات والآيات التي أوردت مفردة "خَلَقَ أو خَالِق أو خَلْق" مع وجود آيات أخرى وروايات دالة على نفس المعنى لكنها بغير هذه المفردات كمفردة "فَطَرَ" قال تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[٩٩].

ومفردة "بديع"، قال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[١٠٠]، وسائر المفردات الأخرى الدالة على فعل الله تعالى مباشرة بمعنى إسناد الفعل إليه كذلك، وقد تستغرب من إطلاقات القرآن المباشرة والروايات كذلك ولكنها وردت لتؤكد على حقيقة الفاعلية والتأثير وأنّ مؤثرية غيره منه تعالى وعلى حد تعبير القرآن بإذنه، وذلك معنى الحوقلة أي لا قوة ولا قدرة لأحد إلاّ بالله العلي العظيم.

ولهذا حري بالعالم أن يتبع هذه الإطلاقات والتعبيرات الواضحة في الكتاب والسنة ولا يحيد عنها لرأي اجتهادي قد يتصف بالصواب وقد يشوبه الخطأ، ولعل تعبيرات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة جاءت لتفصح عن أنّ أجزاء العلل والعلل المعدة بينة الوضوح من الناحية المادية، والمهم هو إيصال المؤمن من الناحية العقدية إلى إدراك التأثير الإلهي في الأشياء، ولهذا جاء عن علي عليه السلام: (ما رأيت شيئًا إلاّ ورأيت الله فيه أو قبله أو معه)[١٠١]، وتعبيرات النبي (ص) والأئمة (ع) غاية في إظهار وإيضاح هذا المطلب.

---

٩٩ – الشورى:١١.

١٠٠ – البقرة:١١٧.

١٠١ – موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري ج٣ ص٧٥.

قد يقال: وما يضير أو يضر في كونهم عليهم السلام علة فاعلية مجازًا بعلاقة الحال بالمحل.

وجوابنا على ذلك: أنّ هذا الأمر من قبيل لو كان لبان، وأصبح في غاية الظهور عند أتباع أهل البيت عليهم السلام بينما نجد أنه لم يعتقد به المقربون من أعلام مدرستهم عليهم السلام كالمفيد رحمه الله، والصدوق قدس الله نفسه وبقية أعلام المدرسة قديمًا وحديثًا، ولا يقال في ذلك أنه لم يظهر لهم ولم يصل أحد منهم إلى إدراك ذلك، وكم ترك الأول للآخر، فإنّ هذا الجواب ليس بصحيح إذِ المدار على الدليل وقد اتضح أنّ الأدلة التي استدل بها الشيخ ليست بتامة، فكيف يعتمد عليها ويستند إليها مع كونها مخالفة للروايات الصريحة والأدلة الفلسفية التامة؟

أما قوله يرحمه الله: "ولا يلزم من ذلك الاعتقاد فيهم ضرر ولا فساد، ولا كفر ولا إلحاد، ولا غلو ولا خلاف الرشاد[١٠٢]".

إنّ من الواضح أنّ القول بكونهم العلل الأربعة لا يقال فيه: لا يلزم من ذلك الاعتقاد فيهم ضرر ولا فساد ...الخ، لأنّ هذا المطلب أوقع كثيراً من العلماء في إشكالات كثيرة أدّت بهم إلى رد كلام الشيخ جملة وتفصيلاً، فكيف لا يلزم منه ضرر ولا فساد مع أنهم عليهم السلام نهوا شيعتهم وأتباعهم عن قول ذلك فيهم أو نسبته إليهم، وجاءت الروايات واضحة صريحة.

نعم؛ حملها الشيخ وأتباعه على أنّ المقصود منها كونهم علة فاعلية تامة مستقلة، والشيخ وأتباعه لا يرون ذلك بل يرون أنه متى أطلقت العلة عليهم فالمراد أنهم محال المشيئة، وأفاد الشيخ يرحمه الله في شرح التبصرة أنّ من اعتقد كونهم علة تامة فهو من الغلاة.

وكلامنا معه يرحمه الله في أمرين:

الأول: أنّ استظهاره كونهم محال مشيئة الله تعالى التكوينية فيه كلام وتأمل واضحان، وهناك كثير من العلماء لا يقبل تقدمهم المادي على الخلق بل يراه غلوًّا لا يقول به إلاّ الحشوية من الشيعة، كما ذهب إلى ذلك المفيد يرحمه الله، قال: "وأما أن تكون ذواتهم كانت قبل آدم عليه السلام موجودة فذلك باطل بعيد عن الحق، لا يعتقده محصل ولا يدين به عالم، وإنما قال به طوايف من الغلاة الجهال والحشوية من الشيعة، الذين لا بصر لهم بمعاني الأشياء ولا حقيقة الكلام، وقد قيل: إنّ الله تعالى كان قد كتب أسمائهم على العرش فرآها آدم عليه السلام وعرفهم بذلك، وعلم إنّ شأنهم عند الله عظيم، وأما القول بأنّ ذواتهم كانت موجودة قبل آدم عليه السلام فالقول ببطلانه على ما قدمناه انتهى"[١٠٣].

---

١٠٢ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٣٤-٣٣٥.

١٠٣ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٤٥.

ولا يحمل كلامه على ما حمله عليه الميرزا موسى قدس الله نفسه الزكية من أنّ كلام المفيد يتناسب مع زمانه لقلة الشيعة في زمانه، وكلام الشيخ يتناسب مع زمانه المتأخر عن ذلك الزمان لكثرة الشيعة في زمانه بمقتضى قاعدة اللطف بمعنى أنّ المعصوم عليه السلام يؤيد عالماً ليقول برأي يتناسب مع زمنه[١٠٤] لأنّ ظاهر كلام المفيد يرحمه الله أنّ ذلك عام لا يختص بزمان ولا بمكان ولا يرجع إلى الغلبة والمكنة للطائفة المحقة حتى إذا كانت ضعيفة في زمان لم يجز لها أن تقول بكونهم العلل الأربع، أما إذا قويت فيسوغ لها ذلك.

الثاني: أنّ حمل الروايات على المعنى الذي فهمه الشيخ الأحسائي يحتاج إلى ما يطلق عليه في الأصول الجمع العرفي بمعنى أنّ الروايات عند تعارضها وتضادها يجمع بينها بحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، والمحكوم على الحاكم، والمورود على الوارد، والظاهر على الأظهر، والظاهر والأظهر على النص، ومن البيّن أنّ المحمل الذي ارتأى الشيخ حمل الروايات عليه لا تنطبق عليه القواعد الأصولية في الجمع الدلالي، وهو أشبه بالجمع التبرعي الذي ردّه الشيخ الأنصاري يرحمه الله في الرسائل، ولهذا فلا ينبغي المصير إلى هذا الجمع من الناحية الدلالية لكونه جمعًا تبرعيًّا، ولو سلمنا جدلاً انطباق الجمع الدلالي عليه فلا يعدو أن يكون اجتهادًا في قبال اجتهاد آخر بمعنى أنه ليس هو الصواب المحض، وما قيل من كونهم عليهم السلام علة غائية للخلق فقط لظهور الروايات في ذلك، أما كونهم علة فاعلية أو صورية ففيه منافاة لظهور طوائف من الروايات.

إضاءة

والعجب منه يرحمه الله ويقدس نفسه الملكوتية تفسيره لكونهم العلة المادية من خلال الروايات: (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا) وأنهم عليهم السلام لم يشاركوا في طينتهم، لأنّ وجودهم نور خالص لا يشوبه ظلمة، قال يرحمه الله في الفائدة الرابعة: "(اعلم أنّ الوجود الممكن ذهب أكثر الحكماء والعلماء من أهل الملل وأهل النحل إلى أنّ هذه الموجودات المتكثرة المتعددة المختلفة كلها من طينة واحدة، وإنما اختلفت باختلاف معيناته وتغايرها، وتكثر بتكثر مراتبه من جهة القرب إلى المبدء والبعد، كما تكثرت مراتب نور السراج الواحد من جهة قربه من السراج وبعده، فأقواها نوراً وحرارة ما كان أقرب إلى السراج، وأضعفها نوراً وحرارة ما كان أبعد منه، وما بينهما بالنسبة، فإنه تعالى خلق الوجود لا غير، وهو أول ما خلق الله

١٠٤ – انظر إلى كلام الميرزا موسى في إحقاق الحق في مناقشته في قاعدة اللطف ص٣١٧.

عز وجل، وهو الماء المذكور في القرآن والأحاديث، فخلق من صفوته نور محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار الأنبياء عليهم السلام، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار المؤمنين من الإنس، ثم المؤمنين من الجن، ثم الملائكة، ثم الحيوانات، ثم النباتات، ثم المعادن ثم الجمادات. وأما الإنس الكفار والجن الكفار، والشياطين والمسوخ، والنبات المر والأرض السبخة، فمن عكوسات أولئك الأنوار وأظلتهم. ولهم على وحدة طينة هؤلاء المتكثرين ظهور الأخبار ...) إلى أن قال بعد أسطر:

وهذا غلط وباطل، وزبد مجتث زائل، إذْ لو كان كذلك لأمكن في الناقص أن يلحق بالكامل مع بقاء نقصانه الذاتي، فيجوز للمؤمن الصالح العامل بما أمر به أن يسأل الله تعالى أن يجعله نبيًّا لأنه ناقص في بعض ما يتعلق به التكليف، وإلاّ فطينة الأنبياء وطينة المؤمنين واحدة، وليس كذلك إلى أن قال: والحق أنّ الوجود الممكن ليس متحدًا في الرتبة الذاتية ولا في الرتبة التنزلية كما ذكره الأكثرون، من أن تعدده في الرتبة التنزلية كتعدد نور السراج الواحد في مراتبه التنزلية، مع أنّ رتبته الذاتية واحدة فقولنا: إنّ وجودات الممكنات ليست متحدة في الرتبة الذاتية، نريد به أنّ الرتبة الأولى مختصة بالخلق الأول وليس لمن بعدهم فيها نصيب بوجه من الوجوه، إلاّ ربط العلية والمعلولية. فالوجود الذي خلقت منه العقول لم تخلق منه النفوس، لا من صفوته ولا من باقيه، وإنما شعاع ما خلقت منه العقول، وآيته ومثاله ودليله أنّ شعاع الشمس الواقع على الجدار خلق منه ظهور جرم الشمس به، واستنارة المقابل للجدار المستنير خلقت من شعاع استنارة الجدار، واستنارة المقابل للمقابل المستنير خلقت من شعاع استنارة المقابل للمقابل، وهكذا مراتب الوجود في تراميها من النور المحمدي صلى الله عليه وآله إلى التراب، كل سابق منير وما بعده شعاعه ونوره، وكل نور جزء من سبعين جزء من نور منيره السابق عليه..) إلى أن قال:

(إنه تعالى أول ما خلق نور محمد صلى الله عليه وآله، وخلق من نوره نور علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة الأطهار من ذرية الحسين عليهم السلام، كخلق السراج من السراج، وهو قول علي عليه السلام: (أنا محمد كالضوء من الضوء) والضور من المنير لا النور، وبقوا كما روى عنهم عليهم السلام ألف دهر على ما يظهر لي: (مائة ألف سنة) يسبحون الله ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه، ليس في الوجود الممكن سواهم، ثم خلق عز وجل من أشعة أنوارهم أنوار مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي عليهم السلام، وبقوا ألف دهر يسبحون الله ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه ليس في الإمكان غير محمد وآله وغيرهم صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين، لم يخلق تعالى من تلك الأشعة غير الأنبياء عليهم السلام، ثم خلق تعالى من أشعة أنوار الأنبياء عليهم السلام أنوار المؤمنين، ثم أنوار المؤمنين من الجن وهكذا على نحو ما ذكرنا قبل هذا. وهذا هو الحق الذي دلت عليه آيات الله... إلى أن قال: فإذا طرق سمعك شيء من كلامهم عليهم السلام مثل قولهم

عليهم السلام خلق من فاضل طينة كذا، فاعلم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل شعاع الشيء وإشراقه ووصفه، لا تتوهم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل بقية الشيء أبدًا فافهم، انتهى كلامه رفع مقامه"[١٠٥].

أي أنّ الله تعالى خلق الوجود وجعل من صفوته محمداً وآل محمد، ومن شعاع نورهم خلق الأنبياء ومن شعاع نور الأنبياء خلق المؤمنين لئلا يلزم الاشتراك في الطينة فيتاح للسافل أن يصل إلى مرتبة العالي لوجود اشتراك في الطينة.

وفي هذا الكلام تأملات متعددة، ومناقشات كثيرة نكتفي ببعض منها:

أولاً: من الواضح أنّ التمايز بين الأنبياء والرسل وغيرهم ليس في الطينة بل يرجع ذلك إلى الوجود المعنوي، وإليك بعض الدلائل على ذلك:

منها: الآيات القرآنية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[١٠٦]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[١٠٧]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[١٠٨].

ومنها: تصريح الذكر الحكيم بأنّ التفاوت بالاجتباء والاصطفاء والتطهير والاستخلاص، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}[١٠٩]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[١١٠]، قال تعالى: {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ*إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}[١١١]، وقال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ}[١١٢].

ومنها: اشتراك الصالحين والطالحين والمؤمنين والكفار في الأصلاب والأرحام كأبي لهب وأبي جهل مع النبي صلى الله عليه وآله، ونوح مع ابنه، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ

١٠٥ – إحقاق الحق للميرزا موسى ص٣٤٩-٣٥١.

١٠٦ – الحجرات:١٣.

١٠٧ – الكهف:١١٠.

١٠٨ – آل عمران:٣٣.

١٠٩ – الأحزاب:٣٣.

١١٠ – يوسف:٢٤.

١١١ – الصافات:١٥٩-١٦٠.

١١٢ – آل عمران:١٧٩.

الْحَاكِمِينَ}[113] ، ورد الله تعالى عليه: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}[114] ، بمعنى أنّ التفاوت بالإيمان والعمل الصالح، ولذا كان بعض أولاد الأئمة عليهم السلام من الطالحين، كجعفر الكذاب وغيره.

وثانياً: لا يعدو ما قاله الشيخ الأحسائي يرحمه الله من كونه اجتهادًا يقابل الكثير من الاجتهادات التي ذهب إليها الفلاسفة وعلماء الكلام، ونحتاج في حمل بعض الروايات عليه إلى أدلة قوية ودقيقة، فإنّ القول بكون معنى: (خلقوا من فاضل طينتنا) هو خلق الأنبياء من شعاع نورهم وخلق المؤمنين من شعاع نور الأنبياء خلاف الظهور العرفي للروايات.

وثالثاً: من قال إنّ الاشتراك في الطينة يلزم منه الاشتراك في الرتبة وإمكانية وصول الناقص إلى الكامل لأنّ الكمال لا يرجع إلى الاشتراك في الطينة بل هناك عوامل متعددة أوضحها القرآن الكريم من أهمها الاجتباء الذي أشرنا إليه، والإيمان والعمل الصالح.

ورابعاً: أنّ تفسير العلة المادية بكون أعدائهم خلقوا من عكوسات شعاع تلك الأنوار وأظلتهم، خلاف مصطلح العلة المادية بالمعنى الحكمي والفلسفي، وهو لا يعدو الاجتهاد في مصطلح العلة بمعنى توسيع معنى العلة المادية ليشمل ما يقوله الشيخ الأحسائي يرحمه الله. فتأمل جيدًا ليظهر لك أن ما قاله (يرحمه الله) لا يصل إلى إيجاب الاطمئنان بصحته، لكونه على خلاف الروايات الصحيحة الصريحة والآيات القرآنية الظاهرة المتعددة، مضافًا إلى كونه على خلاف اصطلاحات الفلاسفة والحكماء في معنى العلة المادية والفاعلية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وزاد وبارك على سيدنا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين.

حسين العايش البراك

التاريخ: ١٤٣٧/١١/٢٧هـ

---

١١٣ – هود:٤٥.

١١٤ – هود:٤٦.